

2 me Année, No. 49. — Lundi-11-6-1934

بدل الاشتراك عن سنة

صـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠
| ٤٠٥٣٠

العـــدد ٤٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٥٣ — ١١ يونيو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

الامتيازات والدين

. . . حتى على حرم الدين ، وموئل علومه ، ومعقل آدابه ، تعتدى الامتيازات الأجنبية المشئومة !! فقد حدثني من لا يجهل ولا يكذب ، أن طالباً من جنوب افريقية ، يطلب العلم فى أحد المعاهد الدينية ، دهمه الامتحان وهو فى سكرة النعيم المصرى الخالص من الأذى والمن ، فلم يجد فى رأسه غير وساوس الشباب وغماغم الهوى ، ففزع الى الكتاب ينقل منه نص الجواب ، فأخذته عين المراقب ! ثم كان ما يقتضيه القانون والخلق والنظام فى مثل هذه الحال من طرد التلميذ وإلغاء امتحانه .

ولكن جنوب افريقية — وأرجو أن تتذكر — له على شمالها امتيازات بالواسطة ، يُدل بها على مصر إدلال الخادم بسطوة سيده ، ويصول بسيفها صولة العبد بسيف مولاه ! حملها أبو الغلام على ظهر عشية الحادث ، وراح يهدج بها فى فناء الدار المشرفة على النيل وعلى أمة النيل ، فاهتزت الدار لشكواه حفاظاً وأنفة ، وأقبلت حجرات الحراس على حجرات الخدم يتساءلن : أين اذن الامتياز اذا تساوى الأجنبى والوطنى فى قانون عام ؟ وأين إذن الامتياز اذا جرى المحمى والمصرى فى الأمر على منهاج واحد ؟ !

وفى الصباح الباكر كان مدير المعهد جالساً الى مكتبه يذكر الله على ايقاع المسبحة ، وذِكْر الله تطمئن به القلوب وتشجع به الأنفس ، ولكن جرس التليفون كان اليوم على ما خيل الى المدير أحدّ رنيناً ، وأشد صلصلة ، فزعزع القلب المطمئن ، وضعضع النفس القوية !

— ألو ! ألو ! مَن ؟

— الادارة العليا ! أعد الى الامتحان الطالب الذى أخرجته منه أمس .

— كيف وقد غش فى الاجابة ، وضبطت معه أداة الغش ، وضاع من أيام امتحانه يوم ، وذهب من هذا النهار حصة ، وأعلن الى الملأ أمر رفضه ؟؟

— أعد هذا الطالب من غير مناقشة ! !

وكانت اللهجة حاسمة ، والاجابة مفحمة ، فخرس التليفون ، وخشع المدير ، وتقاصر المكتب ، وخزى القانون ، وبُهت الخلق ، وعجب المدرسون والطلاب اذ رأوا التلميذ الذى طرد بالأمس ، يعود الى مكانه اليوم وهو أضخم مما كان جثة وانضر طلعة وأطول رقبة ! !

تخالست العيون نظرات العجب ، وتبادلت الشفاه بسمات السؤال ، ولكن المكاتب الرسمية ظلت واجمة ، والأسباب السحرية الرهيبة بقيت محجوبة ، حتى أذن الله لها أن تظهر ، فسكنت طبيعة المعهد ، وركدت ريح الفناء ، وثقلت حرارة الجو ، وأخذ الدارَ ما يأخذ الأرضَ قبيل هبوب العاصفة !

وهنا لك اقتحم الدار ذلك الافريقى الذى رأيناه بالأمس يقرع الباب الأحمر ، والامتيازات تجأر بالشكوى على ظهره ، ثم أثار من حلقه عاصفة هوجاء ترمى بالسباب والسفه ، فلم تدع كرامة على منصة ، ولا مهابة على مكتب ، ولا جلالة فى ادارة ، حتى تناولتها بالعيب والزراية

من الذى جرؤ على أن يطرد ابنى يا . . . . . أين ذهبت أوامركم بالأمس ؟ ما حال قوانينكم اليوم ؟ كيف ترفعون رءوسكم غداً ؟ ثم تربد وجه الرجل وتزبد فوه فأرسل على القوم من فحش البذاء ما نحمد الله على الجهل برسمه حتى نكتبه !

***

برح الخفاء واستعلن السر ، فسكن القوم سكون الطير فى ثورة الطبيعة ! فلما هدأت زمجرة الأسود الممتاز ، وانصرف عنهم انصراف الليل المرعد عن الصباح الوديع ، أفاقت الطير من دُوار الزوبعة ، وفزعت الى الادارة العليا تستصرخها للكرامة ، وتستعديها على الرجل ، وتسألها أن تعارض شكاية بشكاية ، وتقول فى حرارة الموتور ومرارة النادم : لقد قال الرجل فأسرف ، وسكتنا فأسرفنا !

وتشاء المصادفات العجيبة أن يكون بين يدى الادارة آنئذ دَلو من الماء النمير البارد فتلقيه على ثورة الغضاب فتقر ! ثم قالت لهم بتلك اللهجة الحاسمة والاشارة الحازمة :

نعما فعلتم ! الحلم سيد الأخلاق

***

كان رجال الدين فى العهود العزيزة مفزع الفضيلة المروعة ، وملجأ الفضل المضطهد . يبنى الحاكم ، ويجحف السلطان ، ويطغى المستبد ، حتى اذا بلغوهم شدوا الشكيمة ، وردوا الجماح ، واستقاموا على الطريقة . ثم كانوا فى حضرتهم يستكينون لسلطان الدين ، و سيطرة الضمير ، وعزة القناعة ، وصراحة الخلق ، وشجاعة القلب ، وإعلان الحق فى وجه الباطل وإن ذهبت عليه الدنيا ، وأريقت فى سبيله النفس

وكان من ورع رجال الدين فى الأزمان الصالحة سياج على حمى الشريعة ، يرد عنها خبائث الطمع ، ونقائص المادة ، فلا تُسخر للظلم ، ولا تُستخدم للحكم ، ولا تُستغل للهوى ، وكانت كلمة العالم هى كلمة الله ، يقولها فتعنو لها الجباه ، وتمجد لها الشفاه ، ويستقيم بها ميزان العدل .

فلما ابتلى المؤمنون بنفاق الحياة ، وفُتن المتقون بزهرة الدنيا ، وذل العلماء لشهوة الترف ، فرغبوا فى وجاهة المظهر ، وفراهة المركب ، ورفاهة العيش ، سلبهم الله ميراث النبوة ، وحرمهم جلالة الدين ، فأصبحوا كسائر الناس ، يجرى عليهم ما يجرى على غيرهم من ذل الامتيازات ، وغل الحزازات ، وعنت السياسة

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما

احمد حسن الزيات

«النيـــل»

تعيد مجدنا البحري

لكاتب كبير

بعد أيام قلائل — فى يوم الجمعة ١٥ يونيه — تسير الباخرة المصرية «النيل» من ثغر الاسكندرية الى نابل (نابولى) ثم الى مرسيليا . وهذه الرحلة الأولى لباخرة مصرية كبيرة فى عباب البحر الأبيض المتوسط ، يجب أن تثير فى نفوسنا كثيراً من الذكريات المجيدة . ذلك أن «النيل» تصل بهذا الفتح البحرى الميمون ما انقطع من عصور السيادة البحرية المصرية فى لجة هذا البحر الخالد ؛ فمنذ قرون بعيدة كانت مصر تتبوأ فى التجارة البحرية ، كما تتبوأ فى القوى البحرية مركزاً ممتازا ، وكانت السفن المصرية تتردد بين الاسكندرية ودمياط وبين ثغور الشرق حتى قاصية البحر الأسود ، والثغور الايطالية ، ثم ثغور المغرب والأندلس فى الطرف الأخير من البحر الأبيض المتوسط ، وكانت تساهم بأعظم قسط فى النقل البحرى ما بين أوربا والشرق ، وتمر بثغورها معظم تجارة الشرق الأقصى . وكانت بين الاسكندرية وقسطنطينية ، وبينها وبين البندقية وجنوة خطوط بحرية منظمة ، والسفن المصرية تقطع لجة هذه المياه ذهاباً وإيابا ، وعلم مصر الاسلامية دائم الخفوق فى هذا العباب

ولقد تبوأت مصر الاسلامية مركزاً ممتازاً فى السيادة البحرية منذ القرن الأول للهجرة ؛ وكانت السفن المصرية والبحارة المصريون عماد الفتوحات الاسلامية البحرية الأولى فى شرق البحر الأبيض : فى رودس وقبرس واقريطش ؛ وكان العرب قبل فتح مصر يخشون البحر وأهواله ، فلما فتحوا مصر ، وأدركوا أهمية مركزها البحرى ، اتخذوا من الاسكندرية قاعدة لحشد الأساطيل ، والفتوحات البحرية ؛ وكان لبحارة الاسكندرية شهرة خاصة ؛ وكانت تدرب بينهم خيرة الضباط والجنود البحريين . ولما سار العرب لحصار قسطنطينية للمرة الرابعة سنة ٩٩ هـ (٧١٧ م) ، وحل بهم الضيق تحت أسوار المدينة المحصورة ، حشدت سفن المدد فى الاسكندرية ، وسيرها البحارة المصريون الى مياه المرمرة . وكان للسفن المصرية والبحارة المصريين دائماً أكبر نصيب فى الفتوحات البحرية التى كانت تسير الى ثغور الدولة البيزنطية وجزائر بحر إيجه . وظهرت براعة المصريين البحرية فى عشرات المعارك أثناء الحروب والحملات الصليبية التى كانت تهبط دائماً على الشواطئ المصرية ، فى الاسكندرية ودمياط ، ثم فى يافا وعسقلان وعكا ، وقد كانت يومئذ ثغوراً مصرية . وتاريخ مصر الاسلامية حافل بهذه الصفحات المجيدة من تاريخنا البحرى .

أما عن الملاحة التجارية فقد كانت مصر الى جانب البندقية تتبوأ مركز الزعامة والسيادة فى البحر الأبيض المتوسط ، وكانت البندقية تسيطر على الطرق الشمالية والشرقية الى ثغور المرمرة والبحر الاسود ، بينما كانت مصر تسيطر على الطرق الجنوبية ، والجنوبية الشرقية ؛ وكانت العلائق بين الثغور المصرية ، والثغور الايطالية ولاسيما البندقية وبارى ونابل وجنوه فى منتهى الانتظام ، وكانت المعاهدات التجارية والبحرية تعقد بين مصر والدول الايطالية فى كل العصور والدول . ولم تفقد مصر أهميتها البحرية والتجارية إلا بعد اكتشاف طريق الهند فى أواخر القرن الخامس عشر ، ثم الفتح العثمانى الذى انتهى بالقضاء على جميع قواها ومواردها وحضارتها الزاهرة .

وفى عصر محمد على استعادت مصر شيئاً من نشاطها البحرى ، فأنشئ الأسطول المصرى ، واستأنف البحارة المصريون جهادهم المجيد فى المياه اليونانية . ولكن أوربا النصرانية لم تشأ أن تعود مصر الاسلامية فتساهم بقسط فى السيادة البحرية فى شرق البحر الأبيض ، فائتمرت بالأسطول المصرى لحطموه فى «نافارين» ؛ وكان محمد على أكثر عناية بانشاء السفن الحربية ، فلم تتقدم الملاحة التجارية يومئذ تقدماً يذكر . وكان القضاء على الأسطول المصرى فى نافارين خاتمة عصر قصير من الاحياء البحرى .

وهاهى ذى مصر تستأنف اليوم بعد مائة عام أخرى ، نشاطها البحرى ؛ وتعود البواخر المصرية ، فتشق لجة البحر الأبيض جيئة وذهاباً . والفضل فى ذلك يرجع الى نشاط ذلك الصرح القومى العزيز — بنك مصر — ؛ وهاهى «النيـل» تعود فتحمل علم مصر

الاسلامية خفاقاً فى ذلك العباب الذى بقيت السفن المصرية قروناً تمتطى صهوته ، وتجوس خلاله فى عزة وفخار .

إن مصر تستأنف نشاطها البحرى فى ميدان السلم ، لا فى ميدان الحرب ؛ وليس غريباً أن يكون لها بواخر تشق العباب ، ولـكن الغريب أن لا يكون لها بواخر ، وثغورها محط البواخر الأجنبية من أقاصى العالم . . . .

فى مدينة بروســـة (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه بروسة الجميلة تشرف العين على سهلها المشجر ، تلوح سقوفها المسنّمة من خلال أشجارها منثورة فى سفح الجبل وحضيضه . وهذا « يشيل جامع » الذى شاده السلطان العظيم « مجدّد الدولة » محمد بن بايزيد ، وهو الذى اختاره القدر ، بعد أن تقسمت اخوته الخطوب ، ليجمع شتات الدولة بعد أن انفرط عقدها فى موقعة انقرة ، وثوت الصاعقة رهن المحبس والقيد(٢) وبعد أن تنازع أشبال بايزيد ميراث أبيهم ، وتمادى بهم الخلاف بضعة عشر عاماً . لقد قدر لمحمد أن يستأنف السير فى سبيل المجد الذى سلكه آباؤه . أين محمد ومجد محمد ؟ تجيبك هذه القبة الخضراء وراء المسجد . فهناك رفات السلطان وبعض أبنائه .

وانظر الى اليمين فهذا المسجد المشرف بين الأشجار على السفح ، والذى يحاول السرو الباسق حوله أن يطاول منارتيه ، هو مسجد الأمير محمد البخارى وهذه قبة ضريحه . وكم تحت هذه الأشجار من قبور عاذت بقبر هذا الرجل الصالح . ولله هذا الرجل العظيم ، فما ينسى له التاريخ صرامته فى الحق ، ومجابهة السلطان بالنصح واللوم .

كان السلطان بايزيد يتهم بالخمر ، فلما بنى مسجده الـكبير دعا الأمير البخارى ليراه ، وبينما يقلبان النظر فى بناء المسجد قال السلطان للشيخ : ما ترى فى هذا المسجد العظيم ؟ قال : حسن ، ولـكن لابد أن تقام فى كل زاوية من زواياه حانة ليأتى السلطان اليه !

وأرى ذات اليمين جامع بايزيد تلوح قبتاه ومنارته ، وبجانبه قبـة تحنو على قبر السلطان العظيم . سطور من الخطوب والعبر لا تجد العين منها مهرباً .

ألا ترى الى اليسار (أدلو جامع) ذا العشرين قبة ؟ هذه قبته الـكبيرة التى تنفذ الأضواء منها الى الحوض الـكبير ، فيسيل عليه النور فى ماء النافورة المنبجس ليل نهار ؛ وكأن خريرها دعوة الى الصلاة لا تفـتر ، وتسبيح مع المسبحين لا يصمت . وماذا على جدران هذا المسجد من بدائع الخط وسطور الجمال ؟ لقـد افتن الـكتاب على مر العصور فى تزيينها بكل آية من الخط الجميل ، وانها لحجة قائمة على الذين يريدون هجر الخط العربى الى الـكتابة اللاتينية . وكلما أدرت عيني فى هذا المسرح الرائع عادت الى هاتين المنارتين البيضاويتين المشرفتين على الجامع كأنهما شمعتان . وكل مآذن بروسة تشبه الشمعات ، وما أشبه المآذن بالمصابيح : تهدى فى ظلمات الضلال ، وبحق سميت منارات .

وانظر هذا البرج البعيد على سفح الجبل فى مكان من القلعة القديمة حيث قبرا الرجلين العظيمين عثمان وأورخان .

لست أرى جامع مراد الثانى وضريحه والقبور التى أطافت به وبينها قبر جم الأمير التعيس ، ولا أبصر جامع مراد خداوندكار شهيد قوصوه ، ولا قبره مشرفا على السهل منطوياً على سره وجلاله ، ولا ينابيع المياه الحارة والباردة منبجسة بفنائه . وما أجمل ينابيع المـاء فى بروسة مساجدها وطرقها تلقى السائر حيثما توجه متدفقة بالحياة ليلا ونهارا .

وأين مسجد أورخان أقدم مساجد بروسة ؟ غيبه عن عيني الجبل والشجر ، ولـكنه لم يغب عن القلب وجهه المتواضع

وليت شعرى ماخطب هذه المآذن الصغـــيرة ، والقباب الخاملة المنثورة فى المدينـة ؟ بناها قوم لم يبلغوا من حظ الدنيا ونباهة الذكر ما بلغ هؤلاء . ولعلهم كانوا أسعد حياة ، وأعظم عند الله شأنا . وإن الجاه والمجد والسلطان ومايحيط بها من ضوضاء هذه الحياة لأسوأ ما يكافأ به الرجل الطيب ذو النفس الزكية فى هذا العالم . فلا تأس على ما فات الصالحين من جلبة هذه السوق .

(البقية على صفحة ١٠٠٠)

(١) كتبت فى بروسة ضحى يوم الجمعة ١٣ سبتمبر سنة ١٩٢٩
(٢) الصاعقة (يلدرم) لقب السلطان بايزيد الأول

قصاصات الورق

خمسة عشر عاماً بعد فرساى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

مازالت الحرب الكبرى توصف بأنها أشنع وأروع مآسى التاريخ ، ومازالت مصائبها وعبرها وآثارها المخربة ماثلة فى أمم وشعوب كثيرة ؛ وكنا الى أعوام قلائل فقط نسمع أقطاب السياسة الدولية يؤكدون أن الدرس الأليم الذى ألقته الحرب على الدول والأمم العظمى لا يمكن أن يمر دون أن يحدث أثره ؛ وأن الشعوب أشد ما يكون اليوم زهداً فى خوض الحرب والتعرض لويلاتها المروعة ؛ وكنا نشهد ابتهاج الساسة والحكومات كلما عقد ميثاق جديد بعدم الاعتداء بين دولتين أو أكثر ، أو حلت مشكلة دولية صغيرة على يد عصبة الأمم بطريق التحكيم والحسنى ، أو ظهرت بوادر تفاهم ووئام بين خصوم الأمس ؛ كنا نشهد ذلك وأمثاله خلال الأعوام التى تلت الحرب ، فيخيل الينا أن نزعة الحرب والاعتداء قد ضعفت ، وأن عقلية الشعوب قد تبدلت ، وأن العالم مقبل على عصر جديد ، تتبوأ فيه قضية السلام مكانها اللائق ، وتغيض فيه الخصومات والأحقاد القومية القديمة ، ويسود الوئام والحسنى بين الشعوب .

ولكنا نشهد اليوم منظراً آخر ؛ فان الأفق الدولى يفيض بالتشاؤم ، وعلائق الدول المختلفة فى اضطراب دائم ، وعبارات الوعيد والحرب والانتقام تتردد فى بعض الدوائر ، وأحياناً يلوح بها بعض الساسة المسئولين ؛ وهنالك بعض المسائل الخطيرة التى خلفتها الحرب الكبرى مثل مشكلة نزع السلاح ، ومسألة السار ، ومسائل الحدود والاقليات ، ومسألة المستعمرات الألمانية وغيرها تزداد اليوم خطورة وتعقيدا ، بل إنا لنشهد اليوم انتحار مؤتمر نزع السلاح فى جنيف ، وهو ذلك المؤتمر الذى علقت عليه قبل بضعة أعوام آمال كبيرة فى تخفيض التسليح والتقريب بين الأمم ، ونشهد عصبة الأمم تفقد هيبتها الدولية وتنحدر بسرعة الى زاوية النسيان ، وهى الصرح الذى هللت له الأمم يوم إنشائه ، وقيل إنه سيكون منارة السلام العالمى والعدالة الدولية ، وملاذ الأمم الضعيفة والمظلومة . والخلاصة أن تلك الآمال العريضة التى ساورت العالم حيناً عقب دروس الحرب الأليمة فى أن تعتبر الأمم بتلك العبر القاسية وبتلك الضحايا الهائلة ، وتغلب الروية والتفاهم فى حسم مشاكلها ، قد أخذت فى الأعوام الأخيرة تنهار تباعا ، ولا نكاد نلمس اليوم من آثارها شيئا .

لقد اختتمت الحرب الكبرى بعدة معاهدات للصلح بين الأمم المتحاربة ، أعظمها وأهمها معاهدة فرساى ، التى أريد أن تكون دستوراً جامعاً لتنظيم أوربا الجديدة سواء من الوجهة الجغرافية ، أو العسكرية أو الاقتصادية . ولكن معاهدات الصلح ، كأية معاهدة يعقدها الغالب مع المغلوب ، أو بعبارة أخرى يمليها الغالب على المغلوب ، لم تخل من المبالغة والاغراق ، ولم تحرص على مراعاة الحقائق التاريخية الخالدة ، ولم تراع العواطف القومية لأمم عظيمة ، وإنما روعى فيها قبل كل شىء أن تحقق شهوات الظافرين ومطامعهم وخططهم فى تمزيق الأمم المغلوبة وتحطيم قواها ومواردها . ففى معاهدة فرساى أرغمت ألمانيا على الاقرار بأنها مسئولة عن إثارة الحرب الكبرى ، وألزمت بناء على ذلك بدفع تعويضات الحرب الهائلة ، ونص على تجريدها من السلاح ، وتدمير أسطولها ، وانتزعت منها الألزاس واللورين لترد الى فرنسا ، كما انتزعت سيليزيا العليا ، ودانتزج ، ووادى السار ، وفرضت عليها غير ذلك قروض مرهقة كثيرة ؛ وفى معاهدة سان جرمان حلت امبراطورية النمسا والمجر القديمة لتقوم على أنقاضها عدة دول جديدة ، وانتزعت منها أراض كثيرة لتعطى لايطاليا ويوجوسلافيا ورومانيا ؛ وهكذا غيرت معاهدات الصلح حدود أوربا القديمة ، وأثارت فى كل مكان مشاكل الاقليات القومية ، ودفعت بالشعوب المغلوبة الى غمار البؤس والفاقة ، وأثارت بذلك مشاكل اجتماعية خطيرة . ولم يكن يدور بخلد الساسة الذين أملوا هذه المعاهدات المرهقة على الأمم المغلوبة ، أنها ستغدو منذ يوم وضعها مثاراً لمشاكل لا نهاية لها ، وأنها ستنقض غير بعيد فى كثير من نصوصها ، وأنها ستعتبر فى النهاية أصل كل متاعب أوربا الجديدة ، وأنها اذا استمرت على حالها فقد تثير ضرام الحرب مرة أخرى ، ولكن هذا ما وقع بالفعل ، وهذا ما نشهد اليوم ،

فقد عدل كثير من نصوص معاهدة الصلح فى الأعوام الأخيرة ، وهى اليوم مثار حملات شديدة ، لا من المانيا وباقى الدول التى أرهقت بنصوصها فقط ، ولكن من ايطاليا احدى دول الحلفاء التى اشتركت فى اجتناء مغانم النصر ، بل انا لنرى مستر لويد جورج أحد الأقطاب الذين وضعوا المعاهدة وأشدهم وقت وضعها وطأة على المانيا ينادى اليوم بفداحة الشروط التى وضعت ويقترح مثل ايطاليا تعديل المعاهدة وانصاف المانيا ؛ ونرى فرنسا التى فازت بأعظم مغانم الصلح واستغلت المعاهدة الى الذروة ، تأبى أن تنفذ مشروع نزع السلاح الذى نصت عليه المعاهدة وأدمجه الحلفاء فيها كنتيجة لنزع سلاح ألمانيا ؛ وفى أواسط أوربا وشرقها تثار عشرات المشاكل التى ترتبت على اجحاف معاهدات الصلح بالحقوق الجغرافية والقومية لمختلف الدول . والخلاصة ان معاهدات الصلح تغدو اليوم كالثوب المهلهل ، ويغدو الأفق الدولى مثقلاً بالسحب ومختلف الاحتمالات .

قبل الحرب كانت السياسة القومية المفرقة ، والسلام المدجج بالسلاح ، وانشاء المحالفات العسكرية الدفاعية والهجومية ، وعقد المعاهدات السرية ، هى قواعد السياسة الدولية ، وهى التى توجه علائق الدول بعضها ببعض . ولم تكن الفكرة فى تنظيم علائق الأمم قد تقدمت يومئذ كثيراً عما كانت عليه قبل ذلك بقرون ؛ فقد كانت هذه القواعد هى الغالبة فى العلاقات الدولية فى جميع عصور التاريخ الحديث مذ قامت أوربا الحديثة على انقاض العصور الوسطى ، بل كانت هى الغالبة فى العصور الوسطى والقديمة مع فروق يسيرة فى علائق السلام والحرب ؛ وكانت الأطماع القومية فى بسط النفوذ واجتناء مغانم الاستعمار والتجارة هى التى تحرك الأمم بعضها ضد بعض ، وكانت الحرب وسيلة فريدة لتحقيق هذه المثل ؛ وقد كشفت لنا الحرب الكبرى عن المدى الذى وصلت اليه الدول العظمى ما قبل الحرب فى الاعتماد على التسليح والمعاهدات السرية ، وفى التنافس على اجتناء المغانم الاستعمارية واستعباد الأمم الضعيفة ؛ ثم جاءت معاهدات الصلح بعد محنة الحرب دليلاً قوياً على أن هذه النزعات الخطرة لم تخمد بل أذكاها الظفر فى نفوس الأمم الغالبة ، على أن نزعة أخرى برزت من خلال هذه الغمار ترمى الى العمل على التقريب بين الأمم ، وتخفيف حدة الأحقاد القومية التى أثارت الحرب ؛ وقد أريد أن تكون عصبة الأمم رمزاً لهذا الاتجاه الجديد ؛ ولكن العصبة ولدت ميتة من هذه الناحية ، واستطاعت العوامل السياسية الخفية أن تسيطر عليها منذ الساعة الأولى ، وأن توجهها حيث شاءت ، وأن تستغل نفوذها الدولى ؛ ولما أن بدت بوادر التفاهم بين المانيا وخصومها بالأمس ، وفازت سياسة التقرب والحسنى بعقد ميثاق لوكارنو سنة ١٩٢٥ ، هلل العالم مرة أخرى ، واستقبل هذا الميثاق الذى يجمع بين أعداء الأمس ويقضى بتأمين منطقة الرين بين فرنسا والمانيا ، بوابل من الآمال الكبيرة ، واعتقد أن الميثاق سيكون فاتحة لظفر السلام وقضيته ؛ وساد فى الأفق الدولى مدى حين نوع من التفاؤل ، وحلت أثناء ذلك عدة مشاكل دولية خطيرة بالتفاهم والحسنى ؛ ثم كانت الخطوة التالية بعقد ميثاق تحريم الحرب ، أو ميثاق كيلوج سنة ١٩٢٩ ، وهو الميثاق الشهير الذى يقضى بتحريم الحرب كأساس للسياسة القومية ووسيلة لمعالجة المشاكل الدولية ، ويقضى باستعمال التحكيم كوسيلة لحسم المنازعات بين الأمم ، وقد جمع هذا الميثاق بين جميع الدول العظمى وبين أعداء الأمس ، وانضم اليه عشرات من الدول فى أوربا وأمريكا وآسيا ، ووقعته مصر أيضاً ، واعتبر يوم وضعه كأنه انجيل جديد للسلام ، واستقبل بأناشيد المديح والاعجاب فى كل مكان ؛ وكان عقد ميثاق تحريم الحرب فى الواقع ذروة لظفر النزعة السلمية التى حملت الساسة والأمم فى ذلك الحين ؛ ولكنه كان ظفراً نظرياً فقط ؛ ولم يمض سوى عام واحد حتى ظهر أن تطبيق الميثاق مستحيل من الوجهة العملية ، وأنه ولد ميتاً كمشروع عصبة الأمم .

وهكذا ظهر عبث العهود والمواثيق الدولية مرة أخرى ، وانهارت جميع الجهود التى بذلها أنصار السلام من الوجهة العملية ؛ ولم يبق أمامنا من تراث هذا الماضى القريب سوى عصبة الأمم . ومأساة العصبة معروفة ، فقد ظهر فشلها وعقمها فى كل مسألة دولية خطيرة ، وكل مسألة تقتضى العدالة والانصاف ، وظهر أنها أداة مسيرة فى يد الدول الاستعمارية تتجاذب فى داخلها النفوذ والوحى ؛ وهذا مؤتمر نزع السلاح الذى أنشأته العصبة لتحقق على يده برنامجها السلمى يحتضر ويسير الى موت محقق . ولم يشهد العالم منذ نهاية الحرب ظرفا أظلم فيه الأفق الدولى مثل الظرف الذى

نشهد اليوم ؛ فاليابان قد انسحبت من العصبة لتطلق العنان لمشاريعها الاستعمارية فى الصين ، وهى اليوم بتوغلها فى الصين وتحديها جميع الدول الأخرى تثير خطر الحرب فى الشرق الأقصى؛ وقد انسحبت المانيا الهتلرية ايضاً من العصبة ، وهى اليوم تعود الى تسليح نفسها متحدية خصومها بالأمس ولا سيما فرنسا ، وتعمل بكل ما وسعت لاثارة الاحقاد القومية فى الداخل والخارج ، وفرنسا من جانبها تعود بمنتهى الشدة الى سياستها القومية القديمة وتبذل جهوداً فادحة لتقوية جيشها وتسليحاتها ، وانكلترا وأمريكا تسيران فى نفس الطريق وتعملان لتقوية التسليحات البحرية والجوية ؛ وايطاليا تقوى جيشها وتسليحاتها منذ أعوام وتلوح من آن لآخر بالحرب ، ولا تخفى مطامعها الاستعمارية فى آسيا وأفريقية ، وروسيا السوفيتية تقف لليابان بالمرصاد فى الشرق الأقصى ، وتركيا تطالب بالعود الى تحصين الدردنيل بعد أن قضت معاهدة لوزان بنزع سلاحه ؛ وتجرى فى القارة من أقصاها الى أقصاها حركة ازعاج وتوجس ، وتجرى مختلف المفاوضات بين دول البلقان وأوربا الوسطى ودول البلطيق ، وتعقد المواثيق هنا وهناك لتنظيم الجباه السياسية والعسكرية وأحكام المحالفات ، وتتنافس دول القارة العظمى أعنى فرنسا وألمانيا وايطاليا فى تنظيم هذه الحركات وتسييرها .

والواقع أن التاريخ القريب يتكرر ويتصل ؛ وما يجرى اليوم فى العالم من الاحداث السياسية والمنازعات الدولية يشبه من وجوه كثيرة ما كان يجرى قبل الحرب بأعوام قلائل فقط ، من تسابق الدول العظمى فى التسليح والاستعداد الحربى ، ومن تنافسها وتنازعها فى اجتناء المغانم الاستعمارية والتجارية ، ومن توتر اعصاب الحكومات والساسة ، ومن العمل على اذكاء الاحقاد القومية ؛ وقد ثارت فى الأعوام القلائل التى سبقت الحرب بعض مشاكل دولية خطيرة كانت مقدمة لانقضاض العاصفة ؛ والأفق الدولى مثقل اليوم بكثير من هذه المشاكل ؛ ويكفى أن مسألة كمسألة السار قد تضرم الشرارة الأولى ، كما أن مسألة أغادير كادت قبل الحرب بعامين تضرم هذه الشرارة ؛ ونستطيع أن نشبه رحلة مسيو هريو رئيس وزارة فرنسا الأسبق الى روسيا منذ عام ، أو رحلة مسيو بارتو وزير خارجيتها الى بولونيا ودول الاتفاق الصغير ، برحلة مسيو بوانكاريه الى روسيا قبيل الحرب الكبرى بأسابيع قلائل . ولقد وصفت المعاهدات الدولية فى فاتحة الحرب على لسان بعض الساسة الألمان بأنها قصاصات ورق والتاريخ يؤيد هذا القول فى كثير من المواطن ؛ ولكن هذا القول اعتبر أثناء الحرب من الكبائر وسجل على ألمانيا ضمن الأخطاء الفادحة التى بنيت عليها مسئوليتها فى إثارة الحرب . أما اليوم ، ونحن نشهد عقم المواثيق والعهود الدولية الكثيرة التى وضعت لتسوية المشاكل والعلائق الدولية ؛ ونشهد انهيار عصبة الأمم ومؤتمر نزع السلاح ، وميثاق تحريم الحرب ، ومعاهدة واشنطون التى تعهدت الدول العظمى فيها بتحديد التسليح البحرى ، ونقض معاهدات الصلح سواء من جانب الغالب أو المغلوب ، فانه يسمح لنا أن نكرر القول القديم بأن العهود والمواثيق الدولية تغدو دائماً قصاصات من الورق كلما شاءت السياسة والاعتبارات القومية

محمد عبد الله عنان
المحامى

الأثر اليوناني في الأدب العربي

للأستاذ فخري أبو السعود

كانت الثقافة اليونانية خلاصة ثقافات البحر الأبيض القديمة: لأنها إلى جانب ما استوعبته من الحضارات الشرقية تمثل نتاج العقل اليوناني الذي كان أخصب عقل ظهر في العصر القديم. فلما مضى ذلك العصر ودالت دولة اليونان وكان العصر الوسيط كان العرب هم السابقين الى التعرف بالثقافة اليونانية فأخذوا من علوم اليونان وفلسفتهم، ثم تعرف الأوربيون بعدهم بتلك الثقافة في عهد النهضة، وأوسعوا علوم اليونان وفنونهم دراسة ونقلا ومحاكاة. فأغنوا بذلك علومهم وفنونهم الناشـــئة وشادوا على ثقافة اليونان صرح حضارتهم الحديثة.

بيد أن الذي يسترعى النظر أن العرب حين اتصلوا بثقافة اليونان اقتصروا على اقتباس بعض علومهم وفلسفتهم دون الآداب والفنون، فدرسوا أرسطو وافلاطون، وعرفوا أبقراط وفيثاغورس، ولكنهم أهملوا هوميروس وسوفوكليس وأوريبيدس، على حين لم يفرق الأوربيون بين ناحية من نواحي الحضارة اليونانية وناحية أخرى، بل أكبوا على دراسة الجميع، وبينما تقدمت علومهم على مر العصور عن علوم اليونان أشواطاً بعيدة واستغنت عن معينها ظلت الآداب والفنون اليونانيــة مرجعاً دائماً للآداب والفنون الأوربية ومهبط وحي لا يفنى، ولم ينفك كتاب الغرب وشعراؤه الى اليوم عن تمجيـد الثقافة اليونانية والحث على الرجوع اليها دائماً، فما السر في اختلاف موقف العرب عن موقف الأوربيين حيال تراث اليونان؟

السر راجع الى سليقة العرب المطبوعة على البيان، المفطورة على فصاحة اللسان، فان العرب نظراً لبيئتهم البدوية وحياتهم المتنقلة لم يكن لهم سوى اللسان أداة للتعبير عن شعورهم الفياض، فلم يكن التصوير ولا النحت ولا غيرها من الفنون لتزكو في بيئتهم تلك، ومن ثم تأصلت في العرب سجية البلاغة وارتقت بينهم مرتبة البلغاء وتوطدت لغتهم ونضج أدبهم وهم على بداوتهم وقلة حظهم من الحضارة، وكان لهم بعصبيتهم ولغتهم اعتداد شديد، فلما نهضت دولتهم بظهور الاسلام ودخلت الأمم في طاعتهم ودينهم أفواجا ازدادوا اعتداداً بعربيتهم ولغتهم وشعرهم وقرآنهم المبين، فلم يكن في نفوسهم حافز الى الاطلاع على آداب غيرهم ولا لديهم رغبة في التتلمذ لسواهم، بل كانوا يرون أنفسهم هم الأجدر أن يحتذوا ويؤخذ عنهم، ولقد أخذ كثير من الأمم المفتوحة لغتهم واصطنعوا أدبهم بالفعل، وأصبح الناشئون في الأدب من أبناء الأجيال التالية لا يرون أن شيئاً يوصل الى نيل الفصاحة والحكمة وحذق الأدب وراء دراسة القرآن واستيعاب شعر فحول المتقدمين، وانما كان العرب أميل الى الاعتراف بالقصور واظهار الرغبـة في الأمور التي لم يكن لهم فيها إلى ذلك الوقت باع ولا يد كالعـــلوم والفلسفة، فلم يروا ضيراً في أخذها على أساتذة اليونان.

ولم يقتصر أثر اعتداد العرب بأدبهم وشعرهم على ذود الأدب اليوناني عنهم، بل ذاد عنهم غير الأدب من الفنون: فلقد اطلعوا في أطراف دولتهم وبلاد جيرانهم على ما كان لدى اليونان والرومان والفرس والمصريين من تصوير ونحت، فما خطر لهم أن يحاكوا شيئاً من ذلك، وكان كل ما يساور شاعرهم حين يشاهد أثراً من هاتيك الآثار أن يتمثل بطش الدهر وحلول الفناء وسقوط الجبابرة فيقول:

أين الذي الهرمان من بنيانه؟ ما قومه؟ ما يومه؟ ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

وما ذاك إلا لانصراف كل قوى العرب الفنيـة الى ضرب واحد من الفنون هو الأدب واستغراقها فيه. فهي لا تحاول وسيلة أخرى سواه للتعبير عن نفسها، ومن ثم ظل العرب طوال عصورهم لا يعرفون من الفنون سوى الأدب والموسيـقى المعتمدة عليه المرتبطة به ارتباطاً وثيقاً، فلا تصوير ولا نحت ولا تمثيل، اللهم الا ذلك الضرب الوحيـد من الزخرفة ذات الأغراض العملية المحضة، ومن الخطأ نسبة انعدام تلك الفنون بين العرب الى الدين: ففضلا عن أن الدين لا ينافي شيئاً منها فانه لم يحل دون استمتاع العرب بالموسيقى وغيرها حين أرادوا.

فالعرب إذن اتصلوا بالثقافة اليونانية في غير الوقت الملائم: في وقت متأخر، كان أدبهم فيه قد نضج وقوى، وصار لهم من الاعتداد بنفسه ما يثنيه عن التتلمذ لغيره، أما الآداب الغربية فعرفت تلك

الثقافة فى عهد طفولتها ونشأتها، وهى لما تزل عاجزة تعترف بعجزها وتتلهف الى المعرفة حيث وجدتها ، فلم تتردد فى الانتفاع بتراث اليونان الى أبعد حد ، فأثرت أيما إثراء بما أخذت عن اليونان من المواضيع والأشكال الأدبية ، ومد الأدب اليونانى أمامها آفاق التفكير الواسعة وآماد المثل العليا وصور الجمال المختلفة ، ووجدت فى تاريخ اليونان وأدبهم وأساطيرهم ومنتجات فنونهم من صور وتماثيل وآثار مناذج للكتابة والدرس والنظم ، ومنابع للوحى لا تنضب .

فلا غرو أن طفرت تلك الآداب الغربية التى لم تكد فى عهد النهضة تكون شيئاً مذكوراً ، والتى كانت لغاتها ذاتها ما تزال فى طور التكوين ، فاذا هى بعد قرون ثلاثة أو أربعة تسبق الأدب العربى وهو أعرق منها محتداً وتفوقه اتساع آفاق وتعدد مواضيع ، لأن الأدب العربى الذى لم يكد يستفيد بأدب أمة أخرى ظل فى مكانه جامدا يكرر نفسه ويعيد على نفسه الأبواب عينها التى جال فيها المتقدمون من فخر ورثاء ومدح وهجاء ، حتى اذا كان العصر الحديث اذا هو يقف من الآداب الغربية موقف التلمذ والتلقن .

ان تمكن ملكة البيان من العرب — مما جعلهم لا يدينون الا لنبى يأتيهم بكتاب معجز ، وجعل خلفاءهم يتخذون وزراءهم من أئمة البيان — واعتدادهم بأدبهم واستغراق مجهودهم الفنى فيه وحده ، هذا كله فى مجموعه كان عاملا شامل الأثر بعيده فى تاريخهم وأدبهم ، ولقد كان أثره فيما يتعلق بالتراث اليونانى بليغ الضرر ، نخسر العرب خسارة كبيرة باغفال الأدب اليونانى الحى على توالى العصور ، الشديد الايحاء القوى التأثير ، الذى كان بلا ريب أغنى من أدبهم . ولو لقح به الأدب العربى لاتسعت جوانبه وانصرف عن تلك الأغراض العلمية التى احتبس فيها إلى عوالم الفن الخالص وتغير مجرى تاريخه وأفاد العرب بذلك أضعاف ما أفادتهم دراسة الفلسفة اليونانية .

ونحن اليوم بدراسة الآداب الغربية والأخذ عنها بطريق غير مباشرة عن تلك الثقافة اليونانية ، وندخل فى أدبنا ذلك العنصر اليونانى الذى لابد منه لكل أدب يريد له مكاناً بين الآداب العالية ، واذا وقف شاعرنا العصرى أمام الأهرام فلم ينصرف ذهنه الى بطش الدهر بالجبارين الذين أعلوها ولم يتنبأ لها باللحاق بهم ، بل حيا فيها الفن وعظم قدرة الانسان وقال :

أهرامهم تلك حى الفن متخذاً ... من الصخور بروجا فوق كيوان
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى ... ما يأخذ النمل من أركان ثهلان

فما ذاك إلا لأننا قد تأثرنا بتلك الروح اليونانية التى تعظم الفن الخالص فى مختلف صوره وتمجد قدرة الانسان فى مصارعتها للفناء ، تلك الروح التى كان أغفلها أجدادنا العرب .

فخرى أبو السعود

انما يرثها المؤمنون

اخلاف الأمل

للأستاذ أديب عباسي

الحياة كالسفينة : قلعها الأمل ، ودفتها الفكر ، والرابط لأجزائها واللأم لشعثها هو الايمان . والعقل يرسم الخطة، ويبين الاتجاه ، ويدل على الطريق . والأمل شراع الحياة الذى يدفعها فى أوقيانوس هذا العالم المضطرب وفوق لجه المصطخب ، والذى يتلقى القوى من أين جاءته وأنى واجهته ليحيلها فى النهاية قوى للدفع والانتظام فى السير . أما الايمان فهو هذا الذى يشد أضلاعها ويوثق أجزاءها ، فلا يوهنها العاصف الشديد ولا يمزقها ، أباديد . وهو الذى يعدل انحناءها ويقوم استواءها ، فلا توهيها الصدمة ولا تزعزعها الزحمة . وبالقدر الذى تظفر به الحياة من توازن وائتلاف بين هذه القوى الثلاث يكون الخير والنجاح ، وبالقدر الذى تتنافر وتضطرب يكون الفشل والخيبة . انظر الى المتشائمين الصارخين فى وجه الحياة الدافعين لها فى الصدر، ترهم من أولئك النفر الذين كبرت عقولهم ونضبت آمالهم وتزعزع ايمانهم ، فأضحوا كالقارب قد تخرق قلعه ، وحطمت دفته . يقابلهم المتهورون الذين لا ينزلون للعقل على حكم ، ولا للمنطق على قاعدة ، فتراهم يسيرون فى هذه الحياة على غير توجيه يوجهونه ، أو هدى يتوخونه ، فلا يلبثون أن يرتطموا بصخورها الناشزة ، فتتحطم آمالهم وتبخر الحقيقة أمانيهم كما تبخر الشمس أحلام النائم .

هذه هي صلة الأمل والإيمان بالفكر . وإذاً فإذا نحن ذكرنا أحدهما بعدئذ فإنما نذكره ونحن نضمر ونقدر الفكر . ذلك أن الأمل دون الفكر يضحى تهوراً ورعونة ، والايمان بلا عقل ملهم يمسى عناداً واشتطاطاً .

وماذا نقول بعد هذا الاجمال في دعامتي الحياة هاتين ؟

نقول إن الأمل هو القوة الدافعة الكامنة في صدور الشباب ، وهو النور الذي يبدد ظلام النفوس ويزيل حلكها عند ما تتوالى النكبات وتتعاقب المصائب . هو ذلك المعبود الذي نصب له الرومان تمثالاً يجثون حواليه ويخشعون . وهو الاله الذي هجر رومة عند ما عكفت على المادة تعبدها فسقطت سقوط شمشون في يد الشهوة . وهو الذي وقف في مضيق ترموبيلي يهزأ بالقوى المادية ويفخر بالتضحية الخالدة . هو ذلك الفيض العلوي الذي كان يخوض صفوف المسلمين مردداً : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين ، فكان ملء الصدور في بدر ، وكان ملء الصدور في اليرموك ، وكان ملء الصدور في القادسية . هو الذي يحيل الشيخ الهرم شاباً إذا حل في صدره ، والشاب شيخاً اذا زايله . وان شيخاً كبرت عدته من الأمل لا تنصفه اذ تحشره في زمرة الشيوخ وان بلغ عتياً . وان شاباً هزل أمله وفتر عمله هو والشيخ الفاني سواء . فالفتوة والشباب ليسا في السنين ، انما هما في القوى الروحية السليمة . والمهزومون في معركة الحياة الهاربون من وجهها هم الدليل . هذا شيخ مرفوع الرأس مسنود الظهر ، قوى الأمل كبير الثقة بالنفس ، يسير بقية الطريق في غير التواء ، فيصل آخر مرحلة من مراحل الجهاد لا هو بالخائر العزيمة ولا بالخالي من الزاد . وذلك شاب (بحسب السنين فقط) خاوي الأمل فاتر الهمة ، يدب كما تدب السلحفاة . . . أعياه نيل الشمس واصطياد النجوم ، فلم يمدد يداً الى ما هو في متناول اليد ، وتملكه اليأس ، وبث له من ترقب الخيبة نطاق ، فلم يحفل كثيراً بالجنى القريب ، ففاته كثير من الجواهر واللآلئ التي يمر بها مر المجانب

اذاً فمعركة الحياة الصارمة تتطلب منك يا صاح الأمل القوى تسنده العزيمة المسددة ، وتفرض عليك الاندفاع والسعي ، ينير سبيلها الاستبشار والثقة . وفي الوقت الذي يكف المرء فيه عن الحركة والدؤوب يدخل في ثبت الأموات الفانين . إن خير ما تشبه به الحياة هو الدوامة التي ما تزال تدافع فعل الجاذبية وتقاومه بقوة الاندفاع وسرعة الحركة ، ولكنها إذ تبطئ وتكف عن الحركة تسقط بعد إذ كانت مستوية على قدم قائمة على ساق .

وتفرض عليك معركة الحياة أيضاً أن يكون لك هدف تسعى اليه ، لا هو بالوضيع الذي لا يستثير كل ما في النفس من استعداد ولا يستنفر كل ما فيها من قوة ، ولا هو بالبعيد المنبت الذي تتقطع دونه جميع الأسباب وتفشل جميع الجهود .

ثم ليكن هدفك كالأفق العريض يتجدد على السير ويتسع مع الحياة ويغرى على البذل . ولا يهمنك بعدها أنجحت أم فشلت . فالفشل ليس جرماً ، إنما الجرم هي الآمال المحدودة والأهداف الوضيعة . ولا تغبطن من هو أحط منك هدفاً وأسعد حالا . فقد تكون أنت بحرمانك وسمو هدفك أعظم منه في نجاحه وحطة هدفه الذي اذا وصل اليه لا يلاقى وراءه إلا ظلام القبر وقيد الفناء وأنت فوق هذا وذاك مكتسب من فشلك الآني منعة ضد مكروب اليأس الذي يقتل النفوس ويعصف بالرجولة .

وأخيراً — ألايمان — ماذا تقول فيه ؟

نقول موجزين : إنه صفة العظماء الغالبة ، ومزيتهم التي يمتازون بها عن الأوساط ، ومن هم دون الأوساط . فيوليوس قيصر كان كبير الايمان حينما قطع نهر الروبيكون واستولى على رومة بشراذم جنوده . وقد كان ضعيف الايمان في الوصول الى تاج الملك فذبح . وكولمب كان عظيم الايمان ، لذلك لم يفت في عضده كل ما قام في سبيله من صعاب ، ولم يثنه أن يجد نصف العالم الذي كان مفقودا . ونابليون كان له نجم يراه في النهار ويسير بهديه . والمسيح كان كبير الايمان ، فكان يشفي المفلوجين ويقيم المقعدين . والنبي العربي كان وطيد الايمان ، فعمل لقومه في حقبة قصيرة من الزمن ما يعجز أجيالاً ويفنى آجالا .

ومن صفاته أن المؤمن يكون سريع العودة الى ما اختطه لنفسه من طريق ، ورسمه لها من مسير ، بعد أن تحرفه عن ذلك رجات الحياة العنيفة وحوادثها الزاخرة . شأنه شأن الابرة المغنطيسية — مهما بالغت الحياة في هزه ، لا يلبث أن يعود سيرته الأولى ويتجه اتجاهه الأول . ذلك أن ثمة قوة حية مشبوبة فيه تتجاذب وقطب

الحياة العام ، قطب التقدم والرقى الذى تسير نحوه جميع الأحياء عامدة ، لا تلفّ ولا تدور إلا مرغمة .

ومن صفات الايمان أيضاً أنه لا يحتقر الأحلام ، لأنها عنده أساس الحقائق وعدة الحياة . لهذا فهو رفيق جد الرفق بالصغار وما يحلمون ، مؤمن جد الايمان بما يكمن فيهم من قوى غير محدودة ، واستعداد غير مُستغلّ ، واندفاع غير مكبوت ، ونقاء غير مرنق . وهو يقيم الدليل بعد الدليل على صدق متجهه بما أثبت التاريخ والحوادث من أن أحلام الطفولة وعبث الصبى كانت فى غالبية العظماء حقائق الرجولة وعدتها الى الحياة . ؟

شرق الأردن أديب عباسي

ابن الهائم المصرى المقدسى

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

كنت فى القدس مع بعض الاخوان فى زيارة المعرض العربى الثانى ، وبينما نحن على مقربة من مقبرة مأمن الله سمعت أحدهم يقول : ان هذه المقبرة تضم عدداً كبيراً من فحول العلماء ، وكبار الفقهاء ورجال الدين ، ممن ظهروا فى أيام الحروب الصليبية وقبلها . وقد سرد بعضهم أسماء بعض هؤلاء العلماء فلم يلفت نظرى إلا اسم ابن الهائم ، إذ تذكرت ان هذا الاسم مرّ بى أثناء مطالعتى لبعض الكتب الانكليزية التى تبحث فى تاريخ الرياضيات ، وأصبح لدىّ رغبة شديدة فى الكتابة عنه . رجعت الى مكتبتى لأبحث عنه فوجدت ان ابن الهائم من الذين لم يعطوا حقهم من البحث والاستقصاء ، وحياته لا تزال غامضة فى تاريخ المدنية الاسلامية ، وهى فى أشد الحاجة الى من يتعهد جلاءها ، ويقضى على غموضها . بحثت فى الكتب الصفراء وغير الصفراء ، قديمها وحديثها ، من عربية وتركية وانكليزية فلم أجد إلا جملاً هنا وهناك متناثرة لا يفهم منها إلا تاريخ الولادة والوفاة ، وأشياء أخرى من الصعب جمعها وتكوين جملة تفى بالغرض وتشفى غلة الباحث المنقب . على كلّ ، وبعد بحث فى كتب متنوعة امكننا أن نحصل على ترجمة متواضعة لهذا العالم من ناحية مآثره فى العلوم الرياضية آملين أن نوفق فى المستقبل للكتابة عنه بصورة أوسع وأوفى للمرام .

ولنرجع الى صاحب الترجمة فنقول ان اسمه هو : شرف الدين ابو العباس (احمد بن محمد عماد) ابن الهائم المصرى المقدسى ، وقد اكتسب نسبته الى مصر من ولادته فيها ، وكان ذلك فى المنتصف الثانى من القرن الرابع عشر للميلاد حوالى سنة ١٣٥٢ م — ٧٥٣ هـ أو ٧٥٦ هـ ، وعرف بالمقدسى لاشتغاله فى القدس ووفاته فيها . وكانت الوفاة فى أوائل القرن الخامس عشر للميلاد حوالى سنة ١٤١٢ م — ٨١٥ هـ . وقد وجدت ثلاثة تواريخ وفاة لصاحب الترجمة فى كتاب كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون ، ففى ص ٤١٨ من الجزء الأول يقول ان ابن الهائم توفى فى سنة ٩٨٧ هـ ، وفى الجزء الثانى فى ص ٣٦٢ نجد ان الوفاة كانت فى سنة ٣٨٧ هـ ، وفى ص ٤١٧ من الجزء نفسه نجد ان تاريخ الوفاة كان فى ٨١٥ هـ . بينما المصادر الافرنجية ككتاب تاريخ الرياضيات لسمث ، والتركية ككتاب آثار باقية ، وبعض العربية ككتاب الأنس الجليل كل هذه تقول وتتفق على ان الوفاة حصلت سنة ٨١٥ هـ — وهذا التاريخ (على ما أرجح) هو الصحيح . وقد يكون الاختلاف فى الوفاة الموجود فى كشف الظنون ناتجاً إما عن خلط فى الأسماء أو عن أغلاط مطبعية . والله أعلم .

وابن الهائم كما قلنا من الذين لم يعطهم التاريخ بعد حقهم من البحث والتنقيب ، وقد يكون فى كتاب الأنس الجليل عن حياته ما لا نجده فى غيره من الكتب . ومن الكتاب المذكور يفهم ان ابن الهائم اشتغل فى القاهرة ، وانه لما ولى القمني تدريس الصلاحية أحضره الى القدس ، واستنابه فى التدريس ، وأصبح من شيوخ القادسة . واستمر فى وظيفته التدريسية الى أن جاء الشيخ شمس الدين الهروى من هراة وكان حنفياً فرأى هذه الوظيفة فسعى اليها ، واستطاع أن يأخذها من ابن الهائم . ولكن هذا لم يرق للأخير فسعى جهده لاستردادها ، واستطاع أن يجعل ولاة الأمور يقسمون هذه الوظيفة بينهما . ونشأ لابن الهائم ولد نجيب اسمه محب الدين ، كان نادرة دهره ، ونابغة زمانه ، ولكن المنية عاجلته فلم يعش طويلاً ومات صغيراً سنة ٨٠٠ هـ . ومحاسن ابن الهائم كثيرة أهمها تمسكه الشديد بالدين ، وكان دائماً

لا يترك فرصة دون وعظ أو ارشاد ، فتراه فى أكثر الأوقات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وصار له مقام عند العامة وكان لكلامه وقع فى القلوب ، وتأثير على النفوس .

« وتوفى ابن الهائم فى القدس الشريف فى شهر رجب سنة ٨١٥ هـ ودفن فى مقبرة مأمن الله وقبره مشهور »(١) وقد ذهبت بنفسى الى القدس لأرى القبر فلم أتمكن من العثور عليه بسبب أعمال الحفر التى قامت مؤخراً فى المقبرة ، واتصلت بالعارفين فقالوا ان قبر ابن الهائم كان يقع فى الجهة الغربية على بعد بضعة أمتار من البركة وكان القبر مبنياً على شكل غطاء التابوت .

وابن الهائم من الذين درسوا على أبى الحسن على بن عبد الصمد الجلايرى المالكى ومن الذين ألفوا فى الفرائض والحساب والجبر وله فى ذلك كتب ورسائل قيمة منها :

كتاب شرح الأرجوزة لابن الياسمين فى الجبر والمقابلة ، ألفه فى مكة سنة ٧٨٩ هـ(٢) . وهذه الأرجوزة لدينا وقد أتتنا من الوطنى العامل الأديب السيد عبدالله بن كنون من أعيان طنجة بالمغرب ، وسيأتى الكلام عنها عند البحث فى ابن الياسمين . وله أيضاً رسالة اللمع فى الحساب ، ولدينا نسخة منها وقد نسخناها عن مخطوطة قديمة موجودة فى المكتبة الخالدية بالقدس . ويقول المؤلف (ابن الهائم) فى أولها : « . . وبعد فهذه لمع يسيرة من علم الحساب نافعة ان شاء الله تعالى . . » وهذه الرسالة تتكون من مقدمة وثلاثة أبواب يبحث الباب الأول فى ضرب الصحيح فى الصحيح ويتكون من أربعة فصول ، الفصل الرابع منه طريف جداً ويحتوى على كثير من الملح الرياضية فى الاختصار وفى ضرب أعداد خاصة فى أعداد أخرى بدون اجراء عملية الضرب ، ولا بأس من اعطاء مثال (من النسخة) على ذلك ، ففى الفصل المذكور يقول المؤلف « . . وللضرب وجوه كثيرة وملح اختصارية فمنها : . . الى أن يقول . . ومنها أن كل عدد يضرب فى خمسة عشر أو مائة وخمسين أو فى ألف وخمسمائة فنزاد عليه مثل نصفه ويبسط المجتمع (أى يضرب حاصل الجمع) فى الاول عشرات وفى الثانى مئات وفى الثالث ألوفاً ، فلو قيل اضرب أربعة وعشرين فى خمسة عشر فزد على الأربعة والعشرين مثل نصفها وابسط المجتمع وهو ستة وثلاثون عشرات فالجواب ثلاثمائة وستون ، ولو قيل اضربها فى مائة وخمسين فابسط الستة والثلاثين مئات ، فالجواب ثلاثة آلاف وستمائة ... » ويبحث الباب الثانى فى القسمة ويتكون من مقدمة وفصل ، والمقدمة تبحث فى قسمة الكثير على القليل والفصل فى قسمة القليل على الكثير ، وأما الباب الثالث فيبحث فى الكسور ويتكون من مقدمة وأربعة فصول . ولهذه الرسالة شرح لمحمد بن محمد بن احمد سبط المارديني (١) وله أيضاً كتاب « حاوى » فى الحساب وكتاب المعونة فى الحساب الهوائى (٢) ، ويتكون من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة ، وله مختصر اسمه الوسيلة وقد رأيته أيضاً على مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة . وقد قال المارديني فى آخر شرح اللمع « ومن أراد الزيادة فعليه بالوسيلة لأنها من أحسن المصنفات فى هذا الفن . . » وعليها أيضاً حاشية لمحمد بن أبى بكر الأزهرى ، ولها (أى الوسيلة) شرح للمارديني يسمى ارشاد الطلاب الى وسيلة الحساب (٣) . ولابن الهائم كتاب مرشد الطالب الى أسنى المطالب ويبحث فى الحساب ، ويتكون من مقدمة وخاتمة (٤) . وقد عمل له مختصراً سماه كتاب النزهة . ومن مؤلفاته كتاب غاية السؤال فى الاقرار فى الدين المجهول ، ويحتوى على أمثلة لحلول مسائل مختلفة فى الحساب ، والجبر ، وكتاب المقنع وهو قصيدة تتكون من ٥٢ بيتاً من الشعر فى الجبر ، وقد شرحها فى رسالة خاصة ، وله رسالة التحفة القدسية ، وهى منظومة أيضاً فى حساب الفرائض (٥) . وكتاب المعونة فى الحساب . وقد شرحه المارديني واختصره ابن الهائم برسالة سماها اسنان المفتاح (٦) .

نابلس **قدرى حافظ طوقان**

(١) مجير الدين الحنبلى — كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ٢ ص ٤٥٥ — ٤٥٦

(٢) كتاب كشف الظنون ج ١ ص ٨٢

(١) كشف الظنون — ج ٢ ص ٣٦٢ .
(٢) « « — ج ٢ ص ٤٦٨ .
(٣) « « — ج ٢ ص ٤٣٤ — ٤٦٨
(٤) « « — ج ٢ ص ٤١٧ .
(٥) صالح زكى — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٢ .
(٦) « « — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٢ .

مشـــــروع القرى

وجوب العناية بالقرية المصرية

للدكتور محمد حسين هيكل بك

لا أظن شيئاً مهملاً في مصر اهمال القرية المصرية واهمال أهلها . فبينما تغدق الوزارات المتتابعة على تجميل المدائن الأموال الطائلة ، وبينما تقوم في سبيل شق الشوارع واقامة العمائر الضخمة فيها ، اذا بها تضن على القرى بكل اصلاح أو تنظيم ، ولقد لاحظ أهل الريف هذا منذ زمان بعيد ، فقامت ضجة كبيرة في البرلمان المصري سنة ١٩٢٦ حين أريد توسيع شارع الهرم ، ونال نواب الريف أغلبية في مجلس النواب لم يتيسر التغلب عليها إلا باجتماع مجلسي البرلمان في هيئة مؤتمر ، ومع أن حاجات الريف الى الاصلاح كثيرة جداً سواء من الجهة الصحية ، أو من الجهة التعليمية ، فان ما يبذل في سبيله من أموال وجهود يسير على سنة التطور البطيء جداً كأنما يجهل الذين يتبعون هذه السياسة أن ريف مصر يحتوي عوامل النشاط والقوى الحقيقية الحيوية في البلاد ، وانه اذا حوربت الأمراض التي تفتك بأهل الريف ، واذا نشر التعليم الأولى والابتدائي في ربوعه زاد الانتاج الاقتصادي ، والانتاج الفكري ، بما قدره بعض الأطباء بثلاثين في المائة من مجموع الانتاج الحالي !!!

لذلك كان العمل الذي تقوم به جمعية مشروع القرى جديراً بأكبر التشجيع من كل انسان ، وكان ما يبذل الشباب من جهود في هذا الشأن حرياً بأن يلقى التشجيع والمعونة من جانب رجال هذه الأمة الرسميين وغير الرسميين ، وبحسب الذين زاروا أوربا جميعاً ولم يكتفوا بالجلوس على مقاهي المدن الكبرى كباريس ولندن وكلفوا أنفسهم مؤونة التغلغل في أرياف فرنسا وانجلترا والمانيا وغيرها من الدول الأوربية ، وقارنوا بين حياة ريف أوربا وحياة ريف مصر أشد شعوراً باستحقاق جمعية مشروع القرى لكل تشجيع ، ويحسون في قرارة نفوسهم بشيء كثير من الأسف بل الألم لهذه المقارنة . فالمنزل القروي في أوربا يحتوي من معاني الحياة الانسانية مالا نجد له قط نظيراً في أحسن منازل القرى المصرية ، والأماكن العامة كالكنائس والمدارس والمستشفيات في قرى أوربا تشهد بأن أهل تلك البلاد يحرصون على هذا المعنى الانساني وعلى ترقية الذوق الفني في نفوس أهل الريف حرصاً كبيراً ، ثم ان الشباب في أوربا يشعر هو الآخر بالواجب عليه ازاء أهل الريف فينظم نفسه جماعات تجول في مختلف أنحاء الدولة التي ينتمي اليها أثناء العطلة الدراسية لتستفيد هذه الجماعات معرفة بلادها معرفة دقيقة ، وليستفيد أهل الريف من اختلاط الشباب بهم فتياناً وفتيات اتصالاً بالروح العلمية ، والحياة الثقافية ، يربط ما بين الريف والعواصم بخير الروابط .

وليس من ذلك شيء في مصر على الاطلاق ، بل ان المشروعات الحيوية الأولية ، كتعميم المياه الصالحة للشرب ، وبجعل الأسمدة بعيدة عن القرى ، وكتعميم التعليم الأولى الاجباري ، وما الى ذلك من مثله من أمور تعتبر في الدرجة الأولى بالنسبة للحياة الانسانية ما يزال مهملاً في مصر ، بل ما يزال منظوراً اليه على انه أدنى الى الكماليات ، وتلك نظرة خاطئة جد الخطأ ، فاذا أريد بمصر أن تصل إلى نشاط صحيح في حيويتها . فالخطوة الأولى يجب ألا تكون شق الشوارع واقامة المباني الفخمة في المدن ، بل يجب أن تكون العناية بأحوال الريف عناية صحيحة ، والعناية في المدن بالتعليم الجامعي الصحيح قبل كل شيء .

فلتعمل جمعية مشروع القرى في حدود البرنامج الذي رسمت لنفسها تلق من غير ريب تشجيعاً صادقاً من كل من يعنيهم الأمر ومن كل من يدركون مصالح بلادهم الحقيقية .

مشـــــــروع القرى

الاصلاح الاجتماعى فى مصر

ونصيب طلبة الجامعة والمدارس العالية منه

للأستاذ عبد الله أمين
عضو مجلس إدارة المشروع

قد يخيل إلى المتعجل فى الحكم على الأمور أن الشعب المصرى قد خطا خطوات واسعات فى سبيل التقدم والاصلاح الاجتماعى، وذلك حين يرى ما فى أمهات المدن المصرية لاسيا القاهرة الأم الكبرى، عروس الشرق، من مبان شاهقة فخمة، قد بنيت على أحدث مثال، وأثثت بأفخر الأثاث، ومن أزياء حديثة يختال فى حللها القشيبة شبانها وشوابها، رجالها ونساؤها؛ ومن متاجر ودور للملاهى يُعرَض فيها من السلع والمناظر ما يُعرض فى متاجر أوربا وملاهيها؛ ومن مصارف وبيوت مالية ومدارس ومستشفيات وأندية وأنزال، وغير ذلك من مظاهر المدنية الغربية الحديثة.

أما المتأمل البصير فلا يرى فى شىء من هذه المظاهر دليلا على شىء ذى خطر من التقدم والاصلاح الاجتماعى فى مصر، لأنها كلها مظاهر مستعارة من الغرب لا ترتكز فى هذه البلاد على شىء من عناصر الدنيـة التى ترتكز عليها فى الغرب، وهى العلوم والفنون والصناعات والذوق المصرى والعادات والتقاليد والنظم الموروثة، ولذلك تعد فى مصر مظاهر كاذبة. وقد تعاون على استعارتها ثلاث جماعات، هى: (١) النزلاء الأجانب (٢) الوطنيون المفتونون بهم، الناسجون على منوالهم، وما أكثر هؤلاء وهؤلاء فى أمهات المدن المصرية، لاسيا مصر والاسكندرية (٣) والحكومات المصرية المتتابعة. وليس هؤلاء جميعاً هم الشعب المصرى.

إنما الشعب المصرى هو ملايين الفلاحين الكثيرة المقيمة فى القرى المصرية. وإذا جردت أمهات المدن المصرية من مظاهر المدنية الكاذبة أصبحت كالقرى المصرية شبراً بشبر وذراعاً بذراع. وأى شىء فى القرى المصرية لايحتاج الى إصلاح؟ أمظاهر المدنية أم العماد الذى لاتقوم إلا عليه وهو عناصر المدنية؟ أم أساس هذه العناصر؟

إن كل شىء فى القرى المصرية بل فى مصر كلها أم المدنية القديمة والحديثة ومطمع أنظار الغرب، ومعقد آمال الشرق، فقير كل الفقر الى الاصلاح، فالأخلاق والعقائد وهى الأساس الذى تقوم عليه عناصر المدنية، والمنوال الذى تنسج عليه برودها قد أصيبت بالخلل والفساد، فهى فقيرة الى الاصلاح. والعلـوم والفنون والصناعات والآداب والعادات والتقاليد والذوق واللغة والنظم المنزلية والمدرسية والاجتماعية والحكومية وغيرها من عناصر الحضارة لم يبق من محاسنها شىء، فهى أشد فقرا الى الاصلاح. والأزياء والمساكن والأثاث والمتاجر والمصانع والمزارع والطرق والمتنزهات والأندية والمدارس وغيرها من مظاهر الدنية أصبحت ممقوتة بغيضة الى النفوس لبقاء أكثرها على ما كان عليه منذ آلاف السنين، ولانشاء أقلها على مثال غربى لا يلائم أخلاقنا وعقائدنا، فلا بد من إصلاحها وإصلاح كل شىء إصلاحاً نحتذى فيه مثال الأمور الصالحة فى الغرب، ثم نصبغها بصبغتنا ونجعلها ملائمة لأخلاقنا وعقائدنا ومزاجنا النفسى والعقلى.

وإذ كانت الأخلاق والعقائد هى الأساس الذى تبنى كل أمة عليه حضارتها، وكانت أخلاقنا وعقائدنا محتاجة الى الاصلاح كل الاحتياج، فقد وجب أن نبدأ باصلاحها، فاذا صلحت صلح كل شىء، وان لم تصلح فلا رجاء فى اصلاح. ألا تذكر قوله تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». ولا ينبغى لنا أن يعوقنا عن التصدر لاصلاح ما فى نفوسنا من مفاسد، وما فى عقائدنا من ضلال عِلْمنا أن الأخلاق وهى الصفات النفسية ثابتة فى الأمم ثبوت صبغاتها الجسدية، وأنها لذلك لا تتغير إلا بمضى آلاف السنين، وأن العقائد لا تقل عنها ثبوتاً، لأننا اذا أمسكنا عن التصدر للاصلاح لهذا العلم فلن نتقدم له أبداً ولن نبلغ ما نريد أبداً. ولا ينبغى لنا أن ننسى بجانب هذا أن للتغيير عوامل فعالة تجعله سهلاً سريعاً وهى الحروب والنهضات القومية، والثورات الفكرية، وأن النهضة المصرية الحديثة من عوامل التعجيل للاصلاح، وان قيام المتعلمين آباء وأبناء باثارة الأفكار وتوجيهها فى القرى الى الاصلاح مما يكفل لنا بلوغ المراد منه، فيجب أن نتعاون على هذه الاثارة لنبلغ الأمر الذى نبتغيه.

فاذا نحن أيقظنا بصيحاتنا ودعوتنا النفوس النائمة، وأصلحنا العقائد والأخلاق وهذبناها بما لا بد منه من العلم والمعرفة فلنعمد-

بعد ذلك الى اصلاح كل شيء اصلاحاً يلائم أخلاقنا وعقائدنا ، أو مزاجنا النفسي والعقلي ، وإلا وضعنا بجانب كل حجر من أحجار الصرح الذي نبنيه معولاً لهدمه ، لأن الأمة التي تستعير مدنية لا تلائم مزاجها النفسي والعقلي لا تلبث أن تهدم ما بنت بثورة منها ، وحسبك دليلا على ذلك الثورة البلشفية التي قوضت أركان المدنية الغربية في روسيا ، فقد كانت روسيا شرقية في كل شيء ، فلما ولي أمرها بطرس الأكبر حملها على تقليد الغرب بالقوة فجاءت هذه المدنية الغربيـة غير ملائمة لأخلاق الروسيا وعقائدها لذلك هدمتها أخيراً . وبمثل هذا يتنبأ إمام علم الاجتماع في العصر الحاضر « جوستاف لوبون » للمدنية اليابانية التي نقلت عن الغرب في خمسين سنة . وبمثل هذا يمكنك أن تتنبأ للمدنية التركية الحديثة لأنها من عمل الحكومة لا من عمل الشعب نفسه ، وقد نقلتها كما هي بلا تهذيب ، ولأنها نقلت طفرة لا بالتدريج .

***

وليس المسئول عن هذا الاصلاح الحكومة وحدها ، فان الحكومات لا تقوى على كل شيء . وإن من الناس من يقصر عمل الحكومات على حماية الوطن من اعتداء بعض أبنائه على بعض ، ومن اعتداء الأجانب عليه . أما ما عدا ذلك فهو عنده من عمل الأمة وحدها ، ولئن استطاعت الحكومات أن تعمل كل شيء وحدها فانها لا تستطيع أن تقوم البتة بالمرافق الكبرى كالزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والتهذيب ، فان هذا بلاشك من أعمال الشعوب ، ولا بأس بمعونة الحكومة فيه

والمسئول من الأمة المصرية عن تحرير ملايين الفلاحين المصريين من مفاسد الأخلاق ومن البدع والخرافات والأوهام والضلالات وتزويدهم بشيء من مكارم الأخلاق ومن العقائد والمعارف الصحيحة التي لابد لهم منها في دينهم ودنياهم ليصبحوا كأمثالهم في البلاد الراقية وليستطيعوا أن يقوموا باصلاح عناصر المدنية ومظاهرها إنما هم أهل المعرفة من البالغين الراشدين المصريين

لاشك أن العالم مسئول عن أخيه الجاهل ، فلو أن رجلين اجتازا طريقاً خطيرة ، وكان أحدهما علم بما فيها من خطر ولم يكن الآخر على شيء من العلم بما فيها من خطر ، ثم أصابهما فيها صائب من الأذى كان العالم حينئذ هو المسئول عن الجاهل

واذا كان أكثر طلبة الجامعة والمدارس العالية من الراشدين المكلفين شرعاً وعرفا ، كانوا من المسئولين عن الاصلاح الاجتماعي ولا يرفع عنهم هذا التكليف أننا معاشر الآباء العارفين نحمل هذه التبعة لأن الأمر أكبر من أن يقوم به فريق دون فريق ، فليس هو من فروض الكفاية التي اذا قام بها بعض النـاس سقط عن الباقين . وانما هو في الوقت الحاضر من الفروض الوطنيـة العينية التي يجب على كل ذي معرفة القيام بنصيب منها ، وقد تكون من الفروض الدينية . وأبناؤنا الطلبة مع ذلك أطهر قلوباً وأخلص نية وأشد غيرة وحمية وأقوى أبداناً ونفوساً ، فاذا خلا منهم ميدان الاصلاح فقد خلا من كل شيء

وإنا لانبغي من أبنائنا النجباء طلاب الجامعة والمدارس العليا أن ينصرفوا عن التزود من العلم وتكميل أنفسهم الى معالجة الاصلاح في القرى ، لأننا إن طلبنا ذلك منهم كنا خاسرين مسرفين نشتري إصلاح الفلاح بافساد الطبقة الممتازة التي نعلق عليها كل الآمال ، وإنما نريد من أبنائنا الطلبة النجباء عُدّة الوطن وأعظم كنوز ثروته أن يقسموا أوقاتهم وجهودهم على ثلاثة أمور لا رابع لها وهي : (١) طلب العلم . (٢) الرياضة البدنية واللهو المباح اللذين لابد منها لحفظ الصحة وتجديد القوى والنشاط (٣) خدمة الوطن من أحسن الوجوه وهو نشر العلم والفضيلة بين سواده الأعظم في القرى

أما البطالة والكسل والخمول فقد آن أن يكون بين أبنائنا وبينها ماين المشرقين من بعد في هذا الزمن العصيب الذي يستهدف فيه للفناء كل انسان وكل جماعة لايكون شعاره وشعارها الجد ، الاجتهاد ، اليقظة ، الاستقامة ، العمل ، التقدم . وانه ليعز علينا أن ينصرف فريق من شبابنا في أيام الدراسة وفي أيام العطل الى اللهو غير المباح والى الكسل والخمول ناسين أنفسهم ووطنهم . وان أخسر الناس صفقة وأعظمهم غبناً في رأيي شاب آتاه الله قوة الشباب وسلامة الأعضاء والصحة وفراغ البال ورزقه من يعوله ويكفل أموره ومهدت له سبل الاستفادة والافادة ، ثم هو مع ذلك يضيع هذه الهبات الثمينة والمواهب العقلية التي من بها الله عليه في اللهو والبطالة فلا هو ينفع نفسه ولاينفع غيره . لا بل قد قد يكون بلاء على نفسه وعلى غيره

***

وما أشبه المصريين الآن بركاب سفينة تسير بالمجاديف مع

طائفة من سفن أخرى لا أقول تسير بالبخار ، وإنما أقول إنها تسير بالمجاديف مثلها ، تلك السفن هي دول الغرب . وتسعة أعشار من في السفينة المصرية نيام نوم أهل الكهف ، والعشر المستيقظ هو الذي يسير السفينة وحده ، على حين أن ركاب كل سفينة أخرى يتناوبون العمل بينهم ، فلابد لسواعد المصريين من الكلال ولابد لعزائمهم في النهاية من الخور ، ولابد لسفينتهم من الانقطاع عن السفن الأخرى . وأنت عليم بما يصيب هذه السفينة المنقطعة من البلاء

ولو أن هذا العشر أيقظ تسعة الأعشار لاستغلّ جهودهم ولوصل بالسفينة وهي مصر الى حيث تصل السفن الأخرى وأصبحت بنجوة من المهالك ونجا هو ونجوا هم معه . وليس ما يبذل من جهد ومال في تهذيب العامة واصلاح شأنهم بكثير وان عظم . ولو علم الناس ما في تركهم أبناء وطنهم فريسة للجهل والضلال وللفقر وللأمراض الجسدية والنفسية من الأخطار المحققة التي لا يمكن أن يسلم منها مجموع الأمة لافتدوا سلامتهم بأموالهم وأنفسهم ، فما أشبه أبناء الوطن الواحد بأبناء أب واحد ، عني بتربية فريق من هؤلاء الأبناء فشبوا مهذبين قادرين على كسب قوتهم من أحسن الوجوه ، ثم أدركته الوفاة قبل أن تشتد سواعد الفريق الآخر ويربيهم ، ثم أهمل اخوتهم تربيتهم فنشأوا جهلة مرضى النفوس عجزة عن كسب أقواتهم . فلا شك أن الفريق الأخير يصبح عالة على الأول مسئولا منه شرعاً وعرفاً ، فهو إما أن ينهض بأعبائهم ، وإما أن يستهدف لخطرهم ويكون هو أول فريسة لهم يسلبونه ماله وراحته وربما سلبوا روحه ، وما أكثر ما يمثل أمامنا من آن لآخر من هذه الحوادث

فيا أيها الشبان المتعلمون النجباء ، يا رجال المستقبل القريب ، اعملوا من الآن على ايقاظ تسعة أعشار المصريين اخوانكم لئلا يكونوا عالة عليكم غداً ؛ بل ليكونوا عوناً لكم على احياء الحضارة واصلاح كل فاسد ، واحذروا أن تشتروا العاجل بالآجل بأن تؤثروا ساعات تقضونها في اللهو والكسل والخمول الآن على راحة المستقبل وسعادة المستقبل ، وتعالوا الى الميدان الذي فتحه لكم اخوانكم الامجاد أعضاء اللجنة التنفيذية لمشروع القرى وجال فيه جولات صادقات في هذه العطلة الصيفية أبطال من ذوي العزائم هم اخوانكم المتطوعون لمشروع القرى فكان هؤلاء وهؤلاء من المجاهدين السابقين الأولين الموفقين . تعالوا واعملوا لوطنكم منذ الآن تحت العلم الخفاق الذي يحمله علم مصر وفخرها في القرن العشرين أبو الطب غير منازع ولا تدافع ، الدكتور علي باشا ابراهيم واذكروا قول الشاعر

املأ الدنيا بما تستطيع من عمل يبقى اذا العمر ذهب
انما الأعمال تاريخ الفتى تقرأ الأجيال فيه ما كتب

تعالوا واعملوا للخير ، وفقكم الله لاسعاد أنفسكم ولاسعاد وطنكم وأبقاكم ذخراً له ؟

عبد الله أمين



٨ – بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد الفشوى

الوطنية لدى الشاعرين

رأينا فيما عرضنا له من وطنية شاعر الطليان أنه كان يخلق المناسبات ليصدع بشعوره نحو بلاده ووطنه ، فيحاور شخصيات وايته فى جرائمهم الوطنية ، ويتخيل لهم من صنوف العذاب ما تقشعر لهوله الأبدان ، وفى الحق أن وطنية دانتى ملكت عليه كل نفسه ، وسأقص عليك حديثاً طرز به كوميديته ، فكان حليتها وزينتها ، وسأعرض عليك تلك الأنشودة لتعلم أى حد بلغت به وطنيته ، وأى مقدار بلغه النزاع والفشل بين الطليان فى عهده ، وكم برح بهم الظلم ، وهدت من أركانهم الفوضى ، ثم تقرن حالهم بالأمس بحالهم اليوم لتعلم أن الأمم تسقم وتبرأ ، وتضعف وتقوى ، فلا يخالج اليأس نفسك ، ويمتد بك الأمل فتوقن باليوم الذى تتبوأ فيه بلادك مركزها تحت الشمس مستعيدة عصر صلاح الدين ، وأيام رمسيس .

فبينا دانتى يجوب (الأعراف) مع فرجيل اذا بروح نبيل يرمقها ملياً ، ثم يسألها قائلا : من أنتما أيها القادمان ؟ فيكون تعارف يعقبه عناق ، واذا بهـذا الروح روح الشاعر سوردلو Sordello مواطن فرجيل ، ولم يكد يعرفه حتى انتحى به قليلا يحدثه ، وبقى دانتى منفرداً يفكر فى لقاء الواطن للمواطن ، ومحبة ابن الشعب لابن الشعب . فثارت شاعريته ، وصدح بما خلدته الأجيال ، فقال :

(لك الله يا إيطاليا ، أيتها الأمة الذليلة المستعبدة ، ياموطن الآلام وميدان المظالم ، لقد أصبحت وكأنك سفينة بغير ربان ينقذك وسط هذه الزوبعة ، ويقودك الى شاطئ السلامة وبر الأمان ، إن هذه الروح الكريمة قد وقفت تحتفل بمواطنها بمجرد أن سمعت باسم وطنها ، بينما أنت لا يستطيع أبناؤك الأحياء أن يعيشوا دون أن يتقاتلوا ويحارب بعضهم بعضا ، وحتى أبناء المدينة الواحدة قد أخذوا يتخاصمون ويتنازعون !

أنظرى أيتها البلدة التعسة الذليلة ، وابحثى فى كل بحارك وجبالك ووديانك وفى كل ناحية من نواحيك ، فهل ترين جزءاً واحداً يتمتع بالسكينة والراحة والسلام ؟ آه . إنك لو قيض الله لك حاكماً أو رئيساً حازماً لحسنت حالك ، وهدأ بالك ، ولكن القياصرة يعيشون بعيدين عن أرضك التى سيئول أمرها لا محالة الى الخراب والدمار . إن روما تبكى وتستغيث بالأمبراطور ، وكل بلاد إيطاليا قد امتلأت بالظلمة قساة القلوب ، وفى فلورنسا أصبحت الأحوال أسوأ منها فى أى مكان آخر ؛ فقد تسن فيها القوانين ولا تلبث أن تلغى بين عشية أو ضحاها ، وأصبحت كالمريض الذى ألح عليه الداء ، وأعوزه الدواء ، وأخذ يتقلب من جنب الى جنب لكى يخفف من آلامه وعذابه دون أن يشعر بالراحة أو يذوق لها طعما .)

أفرأيت إذاً كيف كان دانتى حدباً على وطنه يندبه ويبكى انقسامه واضطرابه ، وضعف قوانينه وتذبذبها بين الالغاء والوضع كل عشية وضحاها ؟

فلو أنه بعث الآن من مرقده ورأى بلاده اليوم وهى تنعم بالقوة وبالمنعة لقرت عيناه ، ولرفأ مدمع كان هتاناً على وطن ملكت فكرته عليه كل شعاب نفسه .

الاغراب فى الروايتين

كلا الشاعرين ذم هذا المرض الفتاك ، وثار على ذلك الداء الوبيل ؛ وما كان شاعر المعرة بالذى لا يعرض للانتحار : يهجنه ويزرى به ؛ لقد افتن فى الزراية به بعبارة احتفل بها ، وأسرف فى احتفاله ، فكانت جد غامضة ومبهمة . وما نحسب أن كثيراً من الأدباء يستشف غرض أبى العلاء دون أن يلحق به كبير من عناء ومن جهد . على أن فى تهذيب الأستاذ كامل كيلانى لرسالة الغفران ، وفيما حلى به جيدها من شرح وعنوانات ، ما يجعل الطريق أمام روادها معبداً شائقاً الى حد كبير .

ورغماً من اغراب أبى العلاء هنا فانك تراه جانف الخيال ، وسلك سبيل الفلاسفة والحكماء ؛ فجعل يبرهن ويعلل متخذاً من جهالة الانسان بمصيره بعد الموت ، ومن تقلبات الأيام وابتسامها

بعد العبوس أدلة يهجن بها الانتحار ، ويقبحه . وإنى ذاكر لك شيئاً من قوله فى ذلك ، فاستمع اليه حين يقول : « قد كدت ألحق برهط العدم ، من غير الأسف ولا الندم ؛ ولكنما أرهب قدومى على الجبار ، ولم أصلح بخلتى بأبار . وقيل لبعض الحكماء : إن فلاناً تلطف حتى قتل نفسه ، وكره أن يمارس بدائع الشرور ، وأحب النقلة الى دار السرور . فقال الحكيم قولا معناه : أخطأ ذلك الشاب المقتبل ، له ولأمه يحق الهبل ، هلا صبر على صروف الزمان ، فانه لا يشعر علام يقدم ، ولولا حكمة الله جلت قدرته ، وأنه حجز الرجل عن الموت(١) بالخوف من العلز(٢) والفوت ، لرغب كل من احتدم غضبه ، وكل عن ضريبة مقضبه أن تترع له من الموت كؤوس »

أفرأيت فى حديث أبى العلاء كيف سلك سبيل الحكماء ، وكرر معنى ذكره فى لزومياته ، ذلك المعنى هو رهبة ما بعد الموت ، وصدها عن ورود حوضه حين يقول :

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة
مخشية لاعتراها القوم أفواجا
وكان من ألقت الدنيا اليه أذى
يؤمها تاركاً للعيش أمواجا

فما هو سر ذلك وما سببه ؟ أكبر الظن أن سر ذلك هو وقوع ذكر الانتحار فى الرد على رسالة ابن القارح بعد أن انتهى حديث الفردوس والجحيم . ولقد نرى أبا العلاء يتطاحن خياله ، بل يودعه خياله حين يودع الجنان والنيران ، وحين يأخذ فى الرد على ما جاء فى رسالة ابن القارح وما فيها من أشخاص يساجله الحديث عنهم ، ويزيد عليه بسطاً فى القول ، والمساجلة فى الشخصيات وفى تواريخها ، وفى المذاهب والعقائد أبعد شىء عن الخيال ، وأحوج شىء للعبارة البينة فى دلالتها ، السافرة عن غرضها

ولكن دانتى يحدثنا عن الانتحار وهو فى دوره الثانى من الطبقة السابعة فى جهنم فأعمل خياله فى تهجينه ، ووصف عذاب المنتحرين وصفاً يبعث فى الجلود قشعريرتها ، وفى القلوب هلعها . وموعدنا بالحديث عن ذلك العدد القادم .

محمود احمد النشوى

(١) الألم . (٢) الضياع .

٣ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

مصطفى باشا الخزينة دار

جركسى الأصل ، اشتراه عزت باشا ، أحد الصدور فى زمن السلطان محمود الثانى ، ورباه صغيراً فى القسطنطينية ، ثم أتى به الى مصر سنة ١٢٥٢ ، فاشتراه كتخداها عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد على باشا ، وحظى عنده حظوة عظيمة ، وقدمه على سائر مملوكيه ، ولما تولى ابراهيم باشا بن محمد على على مصر سنة ١٢٦٤ استأذن منه عباس باشا فى السفر الى الحج فسافر الى الحجاز وأقسم بأنه لا يعود لمصر ما دام عمه والياً عليها ، لوحشة وقعت بينهما ، وأخذ المترجم معه ، فلما وصل الى مكة وأدى فريضة الحج وصل اليه البشير بموت عمه ابراهيم باشا ، وتوليته مكانه ، وصادف ذلك موت خزينة داره راغب أغا الموره لى فأقام المترجم بدله وأعتقه ، ولزمه من ذلك الحين لقب الخزينة دار ، ثم جعله رئيساً لمملوكيه ، وأنعم عليه برتبة أميرالاى ، ووظف له ألف دينار مصرى فى السنة ، وعاد معه الى مصر ، فكبر شأنه ، وعظمت منزلته بين الأمراء ، وأمر ونهى فى الولاية ، وحل عند سيده بمنزلة كبيرة ، حتى أمر أن يكون أمر المترجم كأمره نافذاً لا يرد فى كافة الدواوين ، وكان يقول له انت يا مصطفى مثل أولادى ، والمترجم لا يقابل ذلك إلا بالصدق والاخلاص فى الخدمة ، والوالى يوالى بره ، ويزيد فى اعزازه ، حتى أمر أن يركب مثل ركوبه فى موكب بجند وحاشية ، فاستعفى من ذلك وقال : عبدكم يكفيه ركوب جنديين يستخدمهما فى خدمة أفندينا فقبل منه وأعفاه ، وتسامع الناس بذلك فلامه بعض أخصائه على إبائه هذا الشرف العظيم ، فقال له أنتم جهلاء لا تقرأون العواقب ، أما تعلمون انه اذا مات أو غضب علىّ أسلب هذا الشرف وينحط قدرى بين الناس ، أفليس الأولى لى أن أبقى على حالة واحدة لا أغيرها ؟

وكان المترجم ميالاً لفعل الخير يسعى فيه جهده ، يروى انه أنقذ نحو ثلاثمائة شخص من القتل والنفى لنفاذ كلمته عند الوالى ،

ويروى أن عباساً باشا غضب مرة على احمد باشا المنكلى ، وكان من جلة القواد ، لجفاء الناس ، وخصوصاً الأمراء على عادتهم مع من يغضب عليهم الولاة ، حتى يبلغ بالواحد انه لا يستطيع المرور أمام دورهم ، واتفق ان المنكلى ذهب يوم العيد الى العباسية لمقابلة الوالى وطلب العفو ، فلقى اعراضاً من الحاشية ونفوراً ، ورآه المترجم على هذا الحال فصعب عليه مكانه لما كان يعلمه عنه من علو المنزلة عند الولاة السابقين ، فأسرع اليه وأكرمه وأمر له بالقهوة والدخان ، وجلس بين يديه متأدباً ، ونمى الخبر لعباس باشا فغضب واستدعى المترجم ووبخه على اكرامه رجلاً مغضوبا عليه منه ، فتلطف معه وقال له : حلم أفندينا أكبر من كل ذنب ، وهذا الرجل تعلمون حسن بلائه فى الخدمة ، وقد جرأنى هذا الحلم بأن سكنت روعه وأخبرته برضاكم عنه ، وانكم دائماً تذكرونه بالخير وتقولون هذا رفيقنا بالشام يوم كنا مع عمنا فى المحاربة ، وأفندينا أكرم من ألا يقبل شفاعة عبده فيه ، فضحك عباس باشا وقال لا بأس عليه قد عفوت عنه ، ثم استدعاه فدخل وقبل الأرض من شدة فرحه ، ودنا منه حتى قبل قدمه ، فأجلسه وبش فى وجهه وقال له انت (ارقداش) ثم صرفه شاكراً مسروراً .

ثم لما مات عباس باشا بقى المترجم خزينة داراً لدائرته زمناً قليلا ، وتولى محمد سعيد باشا على مصر وكان بالاسكندرية فتأخر بها خمسة أيام خوفاً من أن تغتاله شيعة عباس باشا اذا حضر الى القاهرة ، لما بلغه من أن الألفى يريد تولية الأمير الهامى باشا بن عباس باشا ، فتأخر حتى كتب له الأعيان والأمراء بالطاعة وأرسلوا كتابهم اليه ، وفيه توقيع المترجم ، فاطمأن وحضر الى القاهرة ونزل فى قصر شبرا عند أخيه حليم باشا ، فبات عنده ليلة لم يهنأ فيها بنوم ، وأخبر أخاه انه بلغه عن المترجم ان عنده فى العباسية خمسمائة فارس بسلاحهم ، وانه يخشى من هجومه بهم على القصر قصد اغتياله ، فصرف عنه أخوه هذا الوسواس ، ثم طلب المترجم بعد ذلك الى القلعة وخرج اليه حسن باشا المناسترلى ، وقال له أفندينا يعلم انك رجل عاقل فما هذه الخمسمائة الفارس التى عندك بالعباسية ؟ أتحاول أن تحدث بهم أمراً ، أو تجدد لك ملكا ؟ فقال معاذ الله من ذلك ، إنما أنا عبد من عبيد أفندينا ، وكل ما سمعه عنى زور وبهتان من سعى المفسدين ، وبعد ، فهل هذه الفرسان فى بطن الأرض أو فوق ظهرها ، وكيف خفى عليكم أمرها ، نحن ليس عندنا غير عشرين فارساً لحفظ قصور الحرم ، فتبين لهم صدقه ، ثم لما أراد سعيد باشا السفر الى دار السلطنة لشكر السلطان على توليته على عادة ولاة مصر من بنى محمد على مع سلاطين آل عثمان وجد خزانة مصر خالية من المال ، فطلب من المترجم اقراضه خمسين ألف دينار من أموال عباس باشا التى بيده فأبى وتوقف وقال : إنما أنا أمين عليها ، وصاحبها الهامى باشا باستنبول ، ولا يجوز لى التصرف فى ماله بغير اذنه ، فتداخل بعض الأمراء فى الأمر ، حتى رضى باقراضه القدر المذكور بشرط أن يكتب صكا به ويوقع عليه ، ففعل وأخذ المال ، ولما حضر الهامى باشا من دار السلطنة أعطاه المترجم الصك وقال له : هذا المال أخذه عم أبيك ، فان شئت طالبته به ، وان شئت تجاوزت له عنه ، فعدت هذه الحادثة من مواقف المترجم المحمودة .

وبقى المترجم خزينة دارا للهامى باشا حتى رآه ينفق أمواله فى غير وجهها ، فنصحه بأنه اذا دام على هذا الحال لا يبقى ولا يذر شيئاً مما تركه والده ، وأوصاه بالحزم ، وقال له فى عرض كلامه ياسيدى أنا لا أنهاك عن الكرم والاحسان الى الفقراء ، ولكنى أنهاك عن الاسراف والتبذير والانعام على صغار الخدم بهذه الجواهر والنفائس الثمينة التى نراها فى أيديهم كل يوم ، ولما رأى اعراض الأمير عنه وتماديه فيما هو فيه استعفى من منصبه ولزم داره التى بالتبليطة . ثم بدا له السفر الى دار السلطنة فسافر اليها وعلم السلطان عبد المجيد بن محمود بمقدمه فطلبه الى القصر ، ولكنه لم يقابله بل أمر أولاده الأمراء مراداً وعبد الحميد ورشادا باكرامه فقابلوه ولاطفوه ، ثم قيل له ان فى نية السلطان الانعام عليه برتبة باشا وأشير عليه بعدم السفر فلم يوفق للاقامة بل سافر بغير اذن الى الحجاز ، فحج وعاد لمصر ، وكان الوالى سعيد باشا أرسل الى كامل باشا زوج أخته الأميرة زينب هانم أن يراقب المترجم مدة وجوده بدار السلطنة لأنه يوجس من سفره خيفة ، فأعلمه أنه تحقق من أن الرجل ليس له مقصد سوى التنزه والسياحة فقط . وأراد سعيد باشا مرة استخدامه فشكر ولم يقبل ، ولما تولى اسماعيل باشا على مصر أنعم عليه برتبة ميرميران وأمر باستخدامه عضواً فى مجلس الأحكام فاعتذر عن الاستخدام وقال للرسول ان كنتم تجبرونى على الخدمة لأجل رتبتكم فهاك (فرمانها) أرده لأفندينا فاقره اسماعيل باشا على الرتبة وأعفاه من الخدمة .

وبقى بعد ذلك فى داره وينتقل تارة الى ضياعه يراقبها وينفق من غلتها حتى وافاه أجله فمات محمود السيرة عف السريرة قليل الشاكين كثير الشاكرين لا يقطع فرضاً ولا يقصر عن نافلة مع احسان للفقراء وسعة فى النفقة من غير تقتير ولا اسراف ، وخلف ثروة واسعة وأموالاً طائلة من غير عقب لأنه لم يتزوج فى عمره إلا بنت راغب أغا سلفه فى الخزينة دارية ، وكان إلهامى باشا أراد أن يزوجها لشكيب باشا مدير ديوان الأراضى الأميرية فلم تقبله واختارت المترجم فتزوجها وانتقل الى دارها فأقام معها نحو ثلاثة أعوام ثم فارقها بكرا لم يبن بها رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد أكرم الأفغانى

هو الشيخ الأجل، والعالم العامل، القدوة الورع ، نزيل القاهرة أصله من القبيلة الافريدية النازلة فى مضيق جبل حيدر المشهور الآن بجبل خير الفاصل بين الهند وبلاد الافغان، ولد ونشأ به ، ثم رحل الى الهند لطلب العلم وهو فى الحادية والعشرين، فورد لكنهوه وهى حافلة بالعلماء ، فقرأ العربيـة والمنطق والحكمة والعقائد والتصوف والفقه الحنفى والطب والرياضيات على الطريقة القديمة حتى صار من الفحول المشار اليهم مع العفة والتقوى والتشدد فى الدين . ثم ساح فى أغلب بلاد الهند وجعل أكثر اقامته فى لكنهوه ، ثم بدا له السفر الى الحجاز لقضاء فريضة الحج فسافر اليه حوالى سنة ١٢٧٢ وبعد قضاء المناسك ورد على مصر ونزل بالأزهر برواق الافغانية المشهور برواق السليمانية ، فاجتمع به هناك جلة العلماء مثل الشيخ حسين المرصفى وغيره ، وبلغ خبره محمداً افندى الافغانى المشهور بالكشميرجى تاجر المطارف الكشميرية بجوار خان الخليلى فاجتمع به وصوب له الانتقال الى مكان فوق حانوته فاكترى به محلا وانتقل اليه وأقام به نحو تسعة أشهر ، وتسامع به الأكابر مثل حسن باشا المنسترلى كتخدا مصر واسماعيل باشا عاصم، فسعوا اليه وزاروه، وبلغ خبره الأمير احمد باشا رفعت ابن ابراهيم باشا والى مصر من محمد افندى الافغانى فاشتاق لرؤيته ، الا أنه كان على قدم السفر الى ضيعة له فأرسل له خمسة وعشرين ديناراً حباه بها .

ثم سافر المترجم الى دار السلطنة واجتمع هناك بعارف حكمت بك الذى كان شيخاً للاسلام وبغيره من العلماء ، فظن عارف بك أن مجيئه لطلب منصب علمى أو فتح (تكية) أو نوال صلة ، وسأله عن ذلك ووعده بالمساعدة فعرفه المترجم حقيقة أمره ، وانه ما ورد الا للسياحة . وأقام بدار السلطنة نحو عشرة أشهر ، ثم سافر منها الى الشام ، ومر بأزمير وتسامع به علماؤها فحضر له كبيرهم الى السفينة ، وسأله النزول وألح عليه فقبل ، وأقام عندهم عشرة أشهر أخرى قرأ لهم فيها ديباجة الفتوحات المكية. ثم سافر على غير رغبتهم الى الشام، فلقى من علمائها اكراماً زائداً واحتفالا كبيراً لا سيما من كبيرهم الشيخ سليم العطار ، وتلقوا عنه بعض رسائل منها تشريح الافلاك فى الهيئة، وفصوص الحكم لابن العربى ، ثم أراد الشخوص الى بغداد ، ولكنه استصعب السفر اليها براً لكبر سنه وبدانة جسمه ، فعول على السفر اليها بحراً ، وأتى مصر بنية السفر منها فى البحر الأحمر وخليج فارس الى البصرة ومنها الى بغداد ، فلما وردها أنزله السيد احمد الحسينى شيخ طائفة النحاسين بداره وقام بشؤونه أتم قيام ، وتراخت عزيمة المترجم عن السفر ، وبدا له أن يتخذ القاهرة دار اقامة ما شاء الله تعالى فانتقل الى مكان اكتراه بخان الخليلى وأقام به بضع سنوات منكمشاً عن العالم مقبلا على شأنه ، مواظباً على الاقراء والتدريس ، ولم يكن معه غير أحد تلاميذه ، وعلى هذا التلميذ قرأ شيخنا العلامة الشيخ حسن الطويل خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملى .

ثم لما كانت ولاية اسماعيل باشا على مصر أجرى على المترجم عشرة دنانير فى الشهر تصرف له من الحكومة ، واستصوب أبو بكر راتب باشا ناظر الأوقاف اذ ذاك انتقال الشيخ الى مدرسة محمد بك أبى الذهب التى بجوار الأزهر فانتقل اليها وسكن بها فى قاعة الشيخ الصبان الذى كان موقتاً لهذه المدرسة ، وأقام المترجم بها نحو أربع سنوات ، ثم وافاه أجله المحتوم فى ربيع الثانى سنة ١٢٨٧ ، وقد جاوز التسعين ودفن ببستان العلماء فى مقبرة المجاورين ومات من غير عقب لأنه لم يتزوج فى حياته .

وكان ربعة أبيض اللون واللحية كثها، كبير الهامة، بديناً مهيباً اذا سار فى الطريق قام له الناس من يعرفه ومن لا يعرفه ، حليما متواضعاً عفيف النفس زاهداً ، مع كمال عقل وحسن فراسة . وكانت له اليد الطولى فى كافة العلوم، وكان الشيخ مصطفى العروسى شيخ الأزهر يعرف له قدره ، ويزوره بمدرسة محمد بك . ولما مات الشيخ الباجورى وبقى الأزهر بلا شيخ اكتفاء بالوكلاء ، ولهج الناس بضرورة اقامة شيخ قال الشيخ الأشمونى لو استشرت فى ذلك مارضيت بسوى الشيخ محمد أكرم ، فانه رجل له جانب مع الله ، وبلغ المترجم قوله فتبسم وقال مالى وازهرهم ، لو عرضوا على ولاية مصر ماقبلتها ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

من طرائف الشعر

طيـــور الأمانى

للشاعر الوجدانى الرقيق احمد رامى

الإهداء

الى محراب أفكارى   ومهبط وحى أشعارى

الى القلب الذى حرّ   ك بالأشجان أوتارى

الى جنـة أحلامى   الى نزهة أبصارى

الى الروح التى أحيت   مُنى نفسى وأوطارى

الى الفجر الذى رصع   بالانـــداء نوّارى

الى الطير الذى آنس   بالتغريد أســحارى

أقدم كأس أشعارى   وأهدى غضّ أزهارى

احمد رامى

***

طيور الأمانى

هتفت فى الدجى طيور الأمانى   باكيات على النعيم الفانى

حائرات العيون رفّافة الأ   جنح مطرودة عن الأفنان

كلما أوشكت تقارب غصناً   ذادها حاصب عن الأغصان

أو أسفّت تريد نقع ظماها   حلأتها الأيدى عن الغدران

فهى الدهرَ حائمات ترى الأ   ثمار والمـاء نائيات دوان

ولو ان الرياض خلو لعزّت   نفسها بالقنوط والســلوان

غير أن الغصون ناضجة الأ   ثمار والنهر طافح الفيضان

***

هكذا نحن فى الحياة نريد الـ   صفو فيها والصفو نائى المجانى

ونريد النعيم فيها ومن دو   ن منانا سدٌّ من الحرمان

ونشيد البنى من الأمل السا   مى وفأس الزمان فى الجدران

ونبثّ البذور فى الأرض والـ   دهر ضنين بالعارض الهتان

ومن الزرع باسق جفت الأ   ثمار فيـه وماجنتها يدان

ومن المـاء دافق جف فوق الـ   أرض ما مس قطره شفتان

***

لهف نفسى على شباب ذوى قبـ   ل كمال واجتثّ قبل الأوان

وضياء خبا ولم يك هدياً   للذى ضلّ فى سبيل الزمان

لو نظرنا الى الحياة بعين الـ   حق راحت بالكره والشنآن

غير أنّا نعيش فيها بآما   ل تسرّى لواعج الأشجان

وإذا أخطأت ظنون فيارُ   بّ ظنون تريح قلب العانى

***

فلنعش بالمنى فكم صدع الـ   بدر حجاب السحابة المدجان

ولنعش بالمنى فكم سقت الـ   أنواء ذاوى الثمار والأغصان

ولنعش بالمنى فكم جرت الـ   أقدار بالعزّ بعد طول الهوان

فارفعى الصوت بالغناء قليلاً   بدل النوح ياطيور الأمانى

احمد رامى

هنــــد (١)

للاستاذ محمود خيرت

ومخلخلاتٍ (٢) يستبينَك كلما   يخطرْنَ فى روض الملاحة عِينا

وقدودهنّ من الرماح وإن تكن   فى مثل عود الخيزرانة لِينا

كم خلّفت ألحاظهنّ نصبْنَها   شرك الهوى فى الآمنين طعينا

(١) تلتقى هذه القطعة مع قطعة شوقى « من صور السحر المبين عيونا » فى موضوعها تقريباً . ولكننى ماطمعت عند معارضته فى أكثر من أن أتأدب بأدبه وفى أن تكون قطعته الفريدة نموذجا أنسج عليه ورقيباً يوجهنى فى سبيل الكمال . على أن من يوازن بين هذا البيت :

« وقد انتثرن على الخميلة أنجما   وشردن منى يسرة ويمينا »

وبين قوله فى قطعته :

« فنظرن لايدرين أذهب يسرة   فيحدن عنى أم أميل يمينا »

(شوقيات جزء ٢ ص ١٧٢)

يدرك مبلغ فقرى وعجزى ومبلغ مقدرته فى تصوير تلك الحركة الواسعة فى مثل أسلوبه الذى امتاز به رحمه الله .

(٢) ربات خلاخيل

يَمَّمْنَ نحو النهر ذات عشيّة ... بجوارهنّ ورُحن يستسقينا
والأرض ترقص تحتهن صبابةً ... والنهر مرتقبٌ يحنّ حنينا
والبدر يُرسل من سماء جلاله ... نوراً كذرّات اللجين خفينا
ويمدُّ ظلاً خلفهنّ كأنه ... ذيلٌ فيمشى كلما يمشينا
قد كُنّ يقطعن الطريق وقد نأى ... بالسير حيناً والتوقُّف حينا
والأُنس يكسو حسنهن بشاشةً ... كان الشبابُ بها لهنّ مدينا
حتى اقتربْنَ فعند ما أبصرْنني ... أجفلْنَ حتى كِدْنَ يستلقينا
وقد انتثرْن على الخميلة أنجماً ... وشرَدْن منى يسرة ويمينا
إلا فتاةً كالنعيم نضارة ... والظبى جيداً والصباح جبينا
قالت عجيبٌ أن أراك على مَدى ... ما بيننا وقد احتجبتَ سِنينا
فأجبتُها ياهنـد بُعْدُكِ شفّنى ... ولقد ظللتُ على هواكِ أمينا
أين الكناس نبثُّ فى أركانه ... وجداً بمشبُوبِ الضلوع دفينا
ونُعيد سيرةَ ذلك العهد الذى ... غرسَتْ لياليه الصَّبابةَ فينا
فتراجعَتْ جزَعاً تُكفكِفُ دمعها ... كالدرِّ فوق الوجنتين سخينا
وقرأْتُ فى إطراقها وخُفُوقها ... أن الكناس غدا يضمُّ عرينا
وكأنما خشيَتْ علىَّ فطوّقت ... عُنقى مُسارعةً تئنُّ أنينا
وجرَتْ على شفتىَّ منها قُبلةٌ ... حرّاء كان بها السُّعُود ضنينا
إنّى لأذكرُها الزمانَ، فعندَها ... نسِىَ الزمانُ وجوده، ونسينا

محمود خيرت

من الأدب الإنجليزى

الشعر عند ما كولى

للأستاذ محمود الخفيف

للكاتب الانجليزى العظيم اللورد ما كولى طريقة انفرد بها فى عرض آرائه والدفاع عنها ، فقد أوتى بسطة فى العلم ، وامتاز الى جانب عبقريته بقريحة وقادة ، وذاكرة عجيبة ، هذا الى روعة فى الأسلوب ، وسلامة فى المنطق ، ولباقة فى سوق المقدمات وضرب الأمثلة واستخلاص النتائج .

كتب رسالة عن الشاعر ملتن ، وضح فيها آراءه فى الشعر وتناول الموضوع من جميع نواحيه ، ولقد أشار فى رسالته الى بعض المسائل التى يختلف فيها شعراؤنا وأدباؤنا اليوم .

كان ما كولى شديد الاعجاب بالشاعر الكبير ، ولذلك أحفظه ما كتبه النقاد عنه وانبرى للرد عليهم فى حماسة استثارت عبقريته وأيقظت قريحته . رأى هؤلاء النقاد يسلكون السبل الملتوية للحط من قيمة الشاعر ، فبينما هم يسلمون فى غير تحفظ بأن آثاره جديرة بأن تأخذ مكانها بين أعظم الآثار التى أنتجتها العقول البشرية ، اذا بهم يأبون على الشاعر أن يتبوأ مكاناً بين فحول الشعراء كهومير ودانتى وفرجيل وأضرابهم ، وحجتهم فى ذلك أن هؤلاء نشأوا فى عهد طفولة المدنية ، فلم يكن لهم من المعارف مثل ما كان لملتن الذى نشأ فى عهد مستنير وتلقى علماً منظماً ، واطلع على كثير من آثار المتقدمين ، ولكنهم على الرغم من ذلك قد تركوا للعالم آثاراً تجل عن المحاكاة ، فكانت شاعريتهم طبيعية تتجلى فيها الاصالة ، وتشع منها العبقرية ، ولايمكننا على ذلك أن نضع ملتن فى صفهم ، بل إنه لينبغى علينا اذا أردنا الانصاف أن نحسب على ملتن ، عند قياس شاعريته ، كل ما أتيح له من ظروف طيبة .

يسرد ما كولى آراء خصوم الشاعر ثم يعلن فى حماس ويقين أنه على الرغم مما يقولون يقرر أنه مامن شاعر قد اضطر أن يغالب من الظروف أسوأ مما اضطر ملتن الى مغالبته ، حتى لقد كان يخيل الى الشاعر أنه خلق متأخراً عما كان ينبغى له بأجيال ، ذلك لأنه كان يحس أن شاعريته لم تستفد شيئاً من الثقافة التى تثقفها ، بل إنه كان يتطلع بعين ملؤها الاسف الى تلك العصور التى فاتته ، عصور الكلمات البسيطة والتأثير العميق !

يأخذ ما كولى فى الدفاع عن رأيه هذا فيجره الدفاع أولا الى العلاقة بين العلم والمدنية . ما حال الشعر فى عصور التقدم ؟ وكيف كان حاله فى العصور السالفة ؟ وهل لتقدم المدنيـة تأثير مطرد فيه ؟

يقرر ما كولى أنه كلما تقدمت الحضارة ، انحط الشعر تبعاً لذلك التقدم ، ولهذا فانه اذا أعجب بتلك الآثار الشعرية التى جادت بها الأخيلة فى العصور المظلمة ، فليس اعجابه بها قائماً على أنها وليدة تلك العصور ، كلا . فانه يعتقد أن البرهان القاطع على العبقرية انما هو قصيدة عظيمة تظهر فى عصر من عصور المدنية والتقدم ، فى عصر من عصور الفلسفة والتفكير .

وان الذين ينكرون هذا المبدأ ليخدعون أنفسهم فى رأيه ، ذلك أنهم ينظرون الى الفنون نظرتهم الى العلوم التجريبية والعقلية ، فيقيسون الجميع بمقياس واحد متخذين تقدم العلم والفلسفة دليلا على تقدم الشعر والتصوير مثلا ، وفات هؤلاء أن الفرق شاسع بين الفن والعلم ، بين الخيال والتفكير ، بين الحلم والحقيقة ،

نسى هؤلاء أن العلوم تتقدم بتقدم العصور لأن أهل كل عصر يبتدئون دراستهم من النقطة التى وقف عندها أسلافهم ، ومن ثم كان التقدم العلمى تدريجياً ، وكلما تقدمت العصور ، كان من أيسر الأمور على من رزق حظاً من الذكاء تحصيل العلم ، فان أى شخص عادى الآن ليستطيع أن يحصل من قوانين الرياضة فى بضع سنين أضعاف ما استطاع نيوتن العظيم تحصيله فى نصف قرن قضاه فى الكد والتأمل .

ولكن الأمر على خلاف ذلك فى الفنون كالموسيقى أوالتصوير أو النحت ، وعلى الأخص فى الشعر ، فان تقدم الانسان فى الاختراع ، قد يساعد على تحسين الأدوات التى يستعملها كل من الموسيقار والنحات والمصور ، ولكن اللغة وهى أداة الشاعر تكون أكثر ملاءمة لفنه وهى فى حالتها الفطرية الساذجة .

هذه الآراء التى يعرضها ما كولى فى تحديده العلاقة بين الشعر والمدنية ، تسوقه الى نقطة أخرى قريبة من هذه ، أعنى بها

العلاقة بين الشعر والفلسفة : فالفلسفة من عمل العقل والتحليل والتمحيص والموازنة والاستقراء والاستنباط ، وتلك كلها أشياء تتقدم بتقدم العصور ، اذا فما موقف الشعر من الفلسفة ؟ يتساءل ما كولى هل هما شئ واحد ؟ وبعبارة أخرى هل يمكن أن يكون الشاعر فيلسوفاً والفيلسوف شاعراً ؟ وهى كما ترى نقطة ثار فيها الجدل بين كثير من الأدباء فى الشرق والغرب ، فبعضهم لا يجد غضاضة فى الجمع بين الشعر والفلسفة فى شخص واحد ، بل وفى موضوع واحد تناوله النظم ، ومن أجل ذلك تراهم يطلقون لقب الشاعر الفيلسوف على بعض الأشخاص .

ولكن ما كولى يرى أن الشعر والفلسفة شيئان ، بل نقيضان ، والجهل بهذه الحقيقة فى زعمه جهل بمعني الشعر وجهل بأغراضه

فهو لا يعني بالشعر كل كلام منظوم ، لا ولا كل جيد من النظم ، بل انه اذا أراد الشعر بمعناه الحقيق ، ليستبعد كثيراً من الكلام المنظوم ، الذى ربما نال حظاً من الأعجاب فى مجال آخر ، وانما يقصد ما كولى بالشعر ، تلك القـدرة على الوصول بواسطة الكلمات الى ما يصل اليه المصور بواسطة الألوان ، ثم ذلك الجو أو ذلك السحر الذى ينتزع الأنسان مما يحيط به ويطير به على أجنحة الخيال الى وديان فسيحة مليئة بالرؤى والأطياف ، ثم ذلك التأثير القوى ، وتلك الحرارة أو ذلك الحماس المشبوب ، الذى يجعل المرء طوع قلبه ، وان هو خالف فى ذلك منطقه وقواعد فكره .

ذلك هو الشعر فى جوهره وطبيعته ، وعلى ذلك فان كثيراً من النثر الذى تتحقق فيه هذه الصفات ليعد من روائع الشعر ، فاذا ما أردنا الشعر فى الاصطلاح التزمنا النظم ، وبواسطة الوزن والقافية والمهارة فى التوقيع ، نستطيع أن نجمع بين الشاعر والموسيقار ، كما جمعنا بين الشاعر والمصور .

وشتان بين هذا وبين الفلسفة . نعم شتان بين عمل العقل فى التفكير والتحليل ، وبين اختلاج النفس بالأحاسيس وامتلاء المخيلة بالصور ، وجيشان القلب بالعاطفة ، وامتلاء المحاجر بالدموع ، أو إشراق الوجوه بالفرح ، واهتزاز الهيكل كله بالموسيقى .

واذا كان الأمر كذلك فما أعجب الخلط بين الشاعر والفيلسوف فى موضوع لا يمكن إلا أن يكون واحداً من اثنين : فاما الى العقل وإما الى القلب !!

يستخلص ما كولى من ذلك أن الرجل اذا مال الى التفكير والتحليل كان أقرب الى الفلسفة منه الى الشعر، واذا أسلس العنان لخياله وأحلامه ، كان الى الشعر أقرب منه الى الفلسفة ، وقل فى الأمم مثلما تقول فى الأفراد .

فالأمم كالأفراد ، تبدأ أولاً بالأدراك الحسى ، ثم بعد ذلك ترقى الى الأدراك العقلى أو المعنوى ، وبعبارة أخرى ، تبدأ أولاً بفهم الصور الجزئية ، ثم تتدرج منها الى الحدود أو النصوص العامة ، وعلى ذلك كانت لغة المجتمع الراقى لغة فلسفية ، ولغة المجتمع نصف المتمدين لغة شعرية ، وان التطور الذى يطرأ على اللغة من تذليلها وتوسيعها واعدادها لمقابلة التقدم الفكرى ليعد شديد الخطر على الشعر عظيم الفائدة للفلسفة .

وعلى ذلك فانه بقدر ما تتزايد معارف الناس وبقدر ما يتزايد تفكيرهم ، بقدر ما ينصرفون عن الجزئيات ويقبلون على الأنواع ، وحينئذ يصلون الى نظريات راقيـة ، بينما هم فى الشعر لا ينتجون إلا آثاراً سقيمة قوامها العبارات الغامضة ، بدل الصور الناطقة ، والحجج الجافة بدل الأخيلة الرائعة ، أو بعبارة أخرى يكون قوام عملهم فى الشعر الصفات المجردة بدل الأشخاص والأرواح الحية .

نعم إن هؤلاء المفكرين قد يكونون أكثر ممن سبقوهم مقدرة على تحليل وفهم الطبيعة البشرية ، ولكن التحليل ليس من عمل الشاعر ، فعمل الشاعر أن يصور وليس من عمله أن يحلل أو يشرح ، والتحليل فى الفنون يذهب روعتها ، ويبطل سحرها ، وموقف الشاعر من الفيلسوف موقف المصور فى صالته من الطبيب أمام مشرحته ، كلاهما يعرف أجزاء الجسم ولكنهما لا يقصدان غرضاً واحداً ، بل ولا يركبان فى زورق واحد ، ولقد يفهم الشاعر الفضائل العامة والطبيعة البشرية كما يفهمها الفيلسوف، ولكنه فى تلك الحالة لا تؤثر عقيدته فى شعره إلا كما يؤثر علم المصور بنظام الدورة الدموية فى فنه اذا هو حاول أن يرسم تساقط دموع « نيوبا » أو توقد خد « أورورا »

ولو أن شكسبير مثلا قد وضع كتاباً فى الدوافع التى تسيطر على سلوك الانسان لما كان من المحتمل بأى حال أن يجيء كتابه جيداً ، ولما كان من المحتمل أن يحوى من التحليل ومتانة الحجج مثل ما يحويه كتاب يخرجه عالم من العلماء المعاصرين ، ولكن أى عالم لعمرى يستطيع أن يخلق « اياجو » نعم ! أى عالم يستطيع

مع قدرته على تحليل الشخصيات الى عناصرها أن يضم من هذه العناصر ما يريد ليخرج لنا فى النهاية رجلا مثل « اياجو » له خلق خاص وطبيعة خاصة وسلوك خاص ؟

ولا يكتفى ما كولى بهذه البراهين التى ساقها للتفرقة بين الشعر والفلسفة ، بل انه ليخطو الى أبعد من ذلك فيقول انه ربما كان من المستحيل على أى امرىء أن يكون شاعراً لا ولا أن يفهم الشعر ما لم يتجرد بعض الشىء من حدة عقله ، أو بعبارة أخرى ما لم يكن له نصيب من خمود الذهن ، اذا صح هذا التعبير وجاز لنا أن نسمى تلك القوة العجيبة التى تملأ قلوبنا بهجة خموداً ذهنياً .

نعم ان الصدق فى الشعر أمر جوهرى ولكنه « صدق الجنون » ذلك لأننا فى الشعر نقيم الجدل الصحيح على المقدمات الزائفة ، فبعد أن نضع الفروض الأولى ، يسير كل ما بعدها فى توافق واتزان ، ولكن قبول تلك الفروض يحتاج الى نوع من التصديق قد لا يتسنى لنا إلا اذا ألغينا عقولنا مؤقتاً ، ومن ثم كان الأطفال أكثر الناس خيالاً ، فانهم يستسلمون الى الوهم ، فاذا ما عرضت أية صورة خيالية أمام أذهانهم عرضاً قوياً فانها تفعل بنفوسهم ما تفعله الحقيقة . وليس ثمة من رجل مهما بلغت قوة احساسه يتأثر بقراءة « هملت » أو « لير » كما تتأثر فتاة صغيرة بقصة الذئب والجدة العجوز ، ان تلك الفتاة تعلم حق العلم أنه ما من ذئب فى انجلترا ، وأن الذئاب لا تتكلم ، ولكنها على الرغم من يقينها هذا تصدق فتبكى فترتعد ، وذلك هو سلطان الخيال على العقول التى لم يصقلها العلم أو على الأمم فى عهد طفولتها .

ولن يترك ما كولى أدلته دون أن يتوجها بتشبيه بديع ، فهو يشبه الشعر بالفانوس السحرى ؛ فالشعر يرسم أطيافه فى مخيلة المرء ، أو كما يسميها ما كولى « عين العقل » كما يرسم الفانوس السحرى صوره فتمتلىء بها العين الحقيقية « عين الجسم » وكما أن الفانوس السحرى لا يؤدى عمله على الوجه الأكمل إلا فى الحجرات المظلمة ، فكذلك الشعر لا يؤثر تأثيره القوى إلا فى العصور المظلمة ، عصور العقول الساذجة الفطرية التى لم تغيرها الفلسفة والعلوم . وكلما انتشر نور العلم وتمكنت العقول من استنباط الأصول وتقرير القواعد وكشف النقاب عن حقائق الحياة ، تضاءل تبعاً لذلك عمل الخيال وتزايل تأثير الشعر ، وحالت ألوانه ، وتلاشت أطيافه ، وهكذا نرى الفلســـفة والشعر على طرفى نقيض .

تلك هى خلاصة آراء ما كولى فى العلاقة بين الشعر والمدنية وبين الشعر والفلسفة . ولعلى أعرض على القارىء فى القريب رأيه فى شاعرية ملتن ، فقد تعرض فى ذلك إلى كثير من الأفكار التى تدور حول الشعر ولغته ومحسناته ومراميه ؟

محمود الخفيف

فى الأدب الفرنسى

٦ـ الدوق دى لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

فلسفته :

لما عجز لاروشفوكو عن تحقيق آماله ويئس من ارضاء طموحه ، صدف عن حياة الاجتماع الصاخبة ، وانطوى على نفسه وحللها ، واستعرض فى ذهنه حوادث الماضى وأخلاق الناس الذين عاشرهم ولاحظهم ، ثم طلع عليهم بمواعظه القاسية الأليمة التى تظهر عواطفهم فى صورة دميمة ، وتجعل لجميع أعمالهم مصدراً واحداً هو الأثرة . وليس عجيباً أن يقسو هذا الرجل فى الحكم على نفسه وعلى الناس ، وأن يقوده التفكير الى فلسفته اللاذعة ، لأن التحليل لا ينتج التسامح ، والغلو فى الشك يؤدى الى حب النفس . وأعتقد أن آراءه فى معاصريه وبيئته ، تنطبق على الانسان فى كل زمان ، مع أن المصور الذى يرسم البحر أثناء العاصفة فقط ، لا يعطينا عنه إلا فكرة ناقصة الى حد بعيد . ولكى يكون الحكم على الجماعة صحيحاً ، يجب ملاحظتها ودرسها فى حالتى الهدوء والشغب ، ولكن لاروشفوكو رأى الناس فى عصره يعملون مدفوعين بمصلحتهم الذاتيـة ، كما هو الحال دائماً أثناء الاضطراب الداخلى والحروب الأهلية ، فاستخلص من ذلك أن المصلحة الذاتية التى يسميها عزة النفس أو الأثرة هى الباعث على جميع الأعمـــال الانسانية ، وينبوع العواطف البشرية . ولا شك فى أن الانسان

يعمل دائماً طوعاً لمبدأ فى دخيلته يدفعه الى البحث عن مصلحته الذاتية وسعادته . ولـكن يعاب على هذا الفيلسوف أنه يضع لجميع الأعمال والعواطف على اختلاف أنواعها تفسيراً واحداً ، على حين أن الطبيعـة قد منحت الناس مواهب خاصة وغرائز متعـددة وأذواقاً متباينة وملكات مختلفة تسبق الفـكر فى كثير من الأوقات والحالات الى الحركة والعمل ، وجعلت لـكل فرد طريقة يتبعها فى الوصول الى هدفه من الدنيا . وفى الحياة كثير من الناس يرثون عن أصولهم السذاجة الـكريمة وصفاء القلب الجميل ، فليس لهم مبتغى ولا متمنى غير إسداء المعروف الى اخوانهم فى العاجلة مخلصين . وهم يلاقون فى سبيل ذلك عناء كبيراً ويصادفون أخطارا جمـة ويقدمون على تضحية كثيرة يستعذبونها . وطريقتهم فى الحياة هذه عزيزة عليهم ، يجـدون فيها مثلهم الأعلى فى الشرف والسعادة . وليس من الحق والانصاف أن يسمى الباعث على أعمالهم أثرة بالمعنى الذى يقصد اليه لاروشفوكو ويفهم عادة من هذه الـكلمة وهذا الفيلسوف أبيقورى كمعاصره (هوبز) (١) الانجليزى الذى يرد بعض العواطف الهامة مثل الشفقة وحب البر والاحسان الى مصدر واحد هو المصلحة الذاتية . ولـكن الحـكيم الفرنسى توغل أكثر منه فى النفس الانسانية . وقليل من علماء النفس ماثلوه فى دقة التحليل ، ولم يصل أحد منهم بمثل مهارته الى هذا الجزء الخفى من النفس الذى تـكمن فيـه بعض الأفـكار الأنانيـة العميقة . هذه الأفـكار المبهمة ينفذ اليهـا لاروشفوكو بعقـله ويخرجها الى النور دون أن تستطيع الافلات منه

ويرى هوبز أن فى الحيـاة لذتين رئيستين : لذة البدن وهى الاستمتاع ، ولذة النفس وهى الغرور ، ويفضل الأولى على الثانية . أما لاروشفوكو فيعتقد أن اللذة النفسية هى الجديرة بالتفضيل على غيرها . ويقول ، « أكبر مسرات النفس فى اعتقادى هى المجد الصحيح والمعارف الجيلة . وأومن بأن الذين يجعلون للذة الجسدية قيمة كبرى لايملكون من هذه المعارف إلا قليلا . وأرى أن اللذة الحسية خشنة مبتذلة تلهم الاشمئزاز ، ولا تستحق البحث عنها والسعى وراءها إلا اذا كان للذة النفسية نصيب كبير فيها

ولم يقل ذلك الا بعد أن مل العبث وكلف بالقراءة والتفكير العميق . وهو وهوبز يتفقان على أبيقور على أن الأعمال الانسانية ليست نقية من الغرض . وقد اتبعا طريقتين مختلفتين فى الوصول الى آرائهما ، ولـكنهما التقيا فى نقطة واحدة . أما هوبز فقـد استـعمل طريقة الاستنباط (أى استخراج قضية من قضية أعم منها) والتعقل . وأما لاروشفوكو فقد اتبع طريقـة الاستقراء (أى الانتقال من الخاص الى العام) والملاحظة . وكلاهما اتبع سبيلا واحدة فى اتجاهين متضادين ، ونجحا فى قطعهما الى آخرها كل فى اتجاهه

لما كف لاروشفوكو عن حياة الخيال والدسيسة والشغب ، بدأ حياة الفـكر وتسلل بعقله الى أبعد أغوار نفسه ، ولاحظ فى دقة نادرة نفوس أهل عصره . ثم وجد أنه أينما ولى بصره لايرى

---

(١) توماس هوبز ١٥٨٨ — ١٦٧٩ فيلسوف انجليزى نابه الذكر بعيد الصوت . تعلم فى أكسفورد ثم قام بتدريس الفلسفة لأحد أفراد أسرة كافنديش العريقة النسب . وزار فرنسا فقامت بينه وبين ديكارت وجاساندى أواصر المودة . ثم زار ايطاليا وتعرف فيها الى جاليليو . واشترك فى حركة بلاده السياسية ، وكان شديد التعصب للحكم المطلق . وقضى أعوامه الأخيرة فى الريف مشتغلاً بالأدب والفلسفة ، وكتب تاريخ حياته شعراً . وفى شبابه كان مولعاً بفلسفة أرسطو ، ثم صدف عنهـا ، ومال بارشاد (باكون) الفيلسوف الانجليزى المشهور الى الفلسفة التجريبية ، ثم الى الفلسفة المـادية التى كانت السبب فى رميه بالالحاد . وله كتب كثيرة فلسفية ذهب له بها صيت وذكر . وقد تأثر بفلسفة ديكارت الرياضية وقال إن كل جوهر جسم وان كل ظاهرة مصدرها الحركة . وفلسفته هى المـادية فى النظريات والنفعة فى الأخلاق ، والاستبداد المطلق فى السياسة . وهو حسى كبا كون يعتقد أن الحواس هى مصدر جميع المعارف البشرية . ويرى أن أسباب العمل اثنان ليس غير : البحث عن اللذة والهرب من الألم . ويعتقد أن الفلسفة بأكملها تتجمع فى دراسة الأجسام ، إذ ليس فى الطبيعة إلا حركة وامتداد . فالفلسفة هى دراسة الأجسام الطبعية ، والأجسام الصناعية . ودراسة الجسم الانسانى تتطلب المنطق ، وعلم الـكائنات ، وعلم الأخلاق ، وقوامه المصلحة الذاتية : ويشبه الأجسام الصناعية وهى الجماعات السياسية بالجسم الانسانى . ومذهبه النفعى الأثر جعله يقر وجود « حالة بداوة » سابقة على حالة الاجتماع . وكل فرد فى تلك الحالة كان له الحق فى كل شىء . وينتج من ذلك أن الناس كانوا فى حرب دائماً لتعدد مصالحهم الذاتية وتباينها . ثم أدركوا أن السلام أعظم خير لأنه يمكنهم من الاستمتاع بمـا يشتهون فى دعة وهدوء ، فنحوا بعقد جميع الحقوق رجلاً واحداً ، أى أنشأوا سلطة اشترطوا فيها القدرة على إقامة النظام والمحافظة عليه ، وإخضاع الأفراد للقانون أو على الأرجح لارادة فرد واحد ، وعلى هذه الارادة يتوقف الخير والشر . ولا يجد هوبز أى فرق بين القانون والارادة الاستبدادية ، أى لا يجد فرقاً بين القوة والحق . وكل سلطة فى اعتقاده مشروعية مادامت كائنة وفى استطاعتها المحافظة على كيانها . أما رأيه فى الـكنيسة فهو وجوب خضوعها للدولة خضوعاً تاماً .

غير النفاق ، يطل عليه الغرور ، ويكمن خلفهما الأثرة . ودلته التجربة على أن هذه الأثرة كلما دقت واستخفت على الملاحظة ، كانت قوية حادة ، لأنه يجعل مقياسها مبلغ المشقة التي يعانيها الانسان في استكشافها .

ومن ملاحظاته التفصيلية الخاصة ، استخلص فكرته العامة عن الانسان ، وهي تتلخص في أن المصلحة الذاتية تقوده في كل موطن ، وحب النفس يدفعه الى كل عمل . وصاغ هذه الفكرة العامة في تعبير دقيق : « تتلاشى الفضائل في المصلحة الذاتية كما تتلاشى الأنهار في البحر » (موعظة رقم ١٧١) . ولكي يكسبها الوضوح والجلاء رجع الى ملاحظاته التفصيلية واختبرها ليثبت أن كل واحدة منها تدخل في حكمه العام . وهذا يدل على أن لاروشفوكو له أسلوب (مجموع المقدمات الصحيحة الموجزة الموصلة للحقائق) أو طريقة منظمة متناسقة متصلة الحلقات ، ومن يلق على مواعظه نظرة سطحية يرها مفككة الأجزاء مبعثرة ، ويعتقد أنها ملاحظات بسيطة دونها صاحبها مصادفة تبعاً للظروف دون أن يكترث لما سيكون لها من القيمة أو لما ستنتجه من الأثر . ولكن القارئ الذي يمعن في التفكير يجدها متصلة بأقوى إيمان بالأثرة العامة الشاملة ، وأشده ثباتاً وعنادا .

وهذه الطريقة تتلخص فيما يلي : الأهواء مصـــدر أعمالنا وأحكامنا وعواطفنا ، وكل فضيلة تفنى في الأهواء التي تجاورها ، كل فضيلة تقترب غاية القرب من رذيلة وتمتزج بها في ميدان العمل ، وإننا نطلق عليها اسم فضيلة بدلاً من الرذيلة المجاورة خطأ أو إرضاء لكرامة غرورنا أو كبريائنا : « إن ما نعده فضائل ، ليس في أغلب الأحيان الا مجموعة من أعمال متعددة ، ومصالح متنوعة رتبها الحظ أو صناعتنا » (موعظة رقم ١) . فالرحمة — مثلاً — التي نؤمن بوجودها يقول عنها : « الرحمة التي يحسبها الانسان فضيلة ، تستعمل أحياناً بدافع الغرور وأحياناً بدافع الكسل ، وفي أغلب الأحيان بدافع الخوف ، ودائماً بدافع هذه الصفات الثلاث مجتمعة » (موعظة رقم ١٦) . ونرى من قوله أن كل عمل من أعمال الرحمة يتلاشى في إحدى الرذائل المجاورة أو يتلاشى فيها مجتمعة ، كما يتلاشى النهر في البحر . وهذه الجملة « التي يحسبها الانسان فضيلة » تدل على أن الرحمة ليست في ذاتها فضيلة ، أو على الأقل على أن مصدرها الغرور والكسل والخوف ليس غير ، مع أنها قد تصدر عن الشفقة وهي عاطفة عامة ، أو عن الطيبة الكريمة التي تشعر بها النفوس العالية الكبيرة . ولنضرب مثلا : يوليوس قيصر الذي انتصر على بومبيوس في موقعة فارسال (من أعمال اليونان الآن) في عام ٤٨ قبل الميلاد ، وأسر كثيراً من عظماء عدوه ، فانه عفا عنهم وكان في استطاعته قتلهم جميعا . فهل يقول العقل إن هذا العفو مصدره الغرور ، والغرور هو الكبرياء الذي تنشئه في النفس الأعمال التافهة الهزيلة ، وانتصار قيصر على عدوه ليس من الأعمال التافهة ، أو يقول إنه صدر عن كسل وهو في مقدوره أن يأمر بالقتل فيطاع ، أو يقول إنه صدر عن خوف وهو منتصر قوي ؟ ولكن لاروشفوكو لا يجد في الانسان طيبة نقية ، ويحرم علينا أن نؤمن بوجودها ، وهو يبهر النظر بالضوء الذي يلقيه على رذائل الانسانية ، ويلقي بالفضيلة في ظلمة تحجبها عن الأبصار .

ولا شك في أن الرذيلة هي التي تسبب شقاء الناس ، وأن الفضيلة تهيئ لهم أسباب السعادة . فكل فكرة ترمي إلى هدم الفضيلة لتقيم على أنقاضها رذيلة ، هي فكرة قاضية على سعادة البشر . والفكرة التي تقضي على سعادة البشر لا يمكن أن تشتمل على حقيقة ، لأن صفة الحقيقة وعملها أن تسمو بالنفس لا أن تفسدها ، وأن تشع الحياة في الجماعات الانسانية لا أن تدمرها ، وأن ترهب الطغاة لا أن تشجعهم . وقد سبق القول إن هذا الفيلسوف صور نفسه وعصره ومواعظه . ورأيه في الرحمة يدلنا على ذلك أفصح دلالة ، لأنه ينطبق على سياسة الملكة آن دوتريش . فان هذه الملكة بعد أن ضحى لاروشفوكو في سبيلها كثيراً وشاكس ريشليو ورفض ماعرضه عليه من الرتب إرضاء لها ، لم تحسن اليه بعد أن أقيمت وصية على العرش ، بل أحسنت إلى الذين كانت تحقد عليهم . وهؤلاء كانوا أتباع ريشليو ، فلما مات هذا الوزير وخلفه في الحكم صنيعته مازاران ، بسط عليهم جناح حمايتـــه كسلفه ، فلم تجد الملكة بداً من مداراتهم بالرحمة التي ألهمت لاروشفوكو موعظته .

يتبع

محمد صادق

العلوم

الفكرة الذاتية والفكرة الموحاة

للدكتور عبد الفتاح سلامه

قد يلعب الانسان النرد مع صديقه للتسلية ولتمضية الوقت ، ولكنه قد يغافل صديقه هذا فيغالطه فى أثناء اللعب لأجل أن يكسبه . وقد يجلس الانسان فى المقهى فيرى غادة حسناء فيوسوس له الشيطان أن يتبعها ، فيحول الضمير دون ذلك وينسى كل شىء عنها ، ولكنه بعد قليل قد يجد نفسه سائراً فى نفس الطريق وقد يلحق بها .

وقد يدخل الانسان فى بيت ما فيجد سلعة جميلة صغيرة فيود لو تكون له ثم ينسى أيضاً كل شىء عنها . ولكنه بعد خروجه من البيت يضع يده فى جيبه ولدهشته ودهشة العالم معه قد يجد هذه السلعة فيه .

فالفكرة الذاتية اللاشعورية عن وجوب الكسب هى التى جعلته يغافل صديقه برغم وجود فكرة شعورية عنده عن وجوب اللعب لمجرد التسلية وبدون اهتمام للنتيجة . والفكرة اللا شعورية الخاصة باتباع الفتاة هى التى قادته للسير فى هذا الطريق رغم احتجاج الضمير واستنكاره . والفكرة اللا شعورية الخاصة بامتلاك تلك السلعة هى التى دفعته إلى أخذها . وهكذا يبدو أنه اذا كان اللا شعور ليس عليه إلا أن يرغب فان الشعور عليه أن ينفذ هذه الرغبة . وهذه هى القاعدة فى الانسان . ولكن كيف يتسنى لهذا الشيطان أن يملى رغبته على الشعور وكيف يتسني للشعور أن ينفذ هذه الرغبة مع وجود الضمير القوى والعقل المميز الموزون ؟

انه يلجأ فى هذا السبيل الى الحزن والتنغيص على الشعور فيضطره الى تنفيذ ما يريد . والحزن سببه عدم التمكن من تنفيذ الرغبة أو تخيل عدم إمكان تنفيذها ، والحزن يختلف من مجرد شعور بعدم السرور الى انقباض مستمر ، وفى نهايته العظمى يكون الحزن المرضى المسمى بالسوداء melaudholia . ففى مثلنا الأول يجلس الانسان للعب وعنده رغبتان كما قدمنا ويبتدىء فى تنفيذ الرغبة الشعورية أى اللعب لمجرد التسلية وعدم الاهتمام للنتيجة حتى اذا ما خانه الحظ وعرف أنه سيخسر الدور فان الرغبة اللاشعورية — حب الكسب — تجد نفسها على وشك عدم التنفيذ فيبتدىء مرح اللاعب يقل شيئاً فشيئاً ، ثم يبتدىء أن يكون لعبه آليا أى بدون تفكير منتظم فيشعر الانسان بالضيق فيضطر بعد ذلك أن يجد له مخرجاً يقضى به الرغبة اللاشعورية التى سببت له هذا الضيق . وقد يكون هذا المخرج عن طريق النكتة والفكاهة وهذا من شأنه أن يقلب وضع الأمور فيخيل للمغلوب أنه غالب ، وقد لا يكتفى المغلوب بهذا التخيل فيغالط إذن فى اللعب عن قصد وغير قصد . وهو إذ يغالط قد يعمل ذلك أيضاً على سبيل النكتة والفكاهة . والشعور فى عمله لازالة ما قد يشعر به الانسان من ضيق يرضى الرغبة اللاشعورية فيشعر الانسان بالسرور والفرح . ويرضى كذلك الضمير لأنه إنما يغالط لأجل الضحك والسرور ولا حرج عليه فى ذلك . فبالحزن إذن يسيطر اللاشعور على الشعور ويضطره الى تنفيذ ما يريد . وهذه هى طريقة اللاشعور السحرية فى إملائه لرغباته . أو هذا هو عمل الشيطان فى وسوسته لما يبديه . ولعمرى لو كان الشيطان جسماً مستقلاً عن جسم الانسان ولم يكن ممثلاً فى العقل الباطن فان هذا العقل هو صلة الاتصال بينه وبين الانسان .

وفى مثلنا الثانى نجد أن صاحبه بعد أن أمره ضميره بالجلوس عاقلاً مؤدباً ما لبث أن شعر بالقلق فى جلسته وسرعان ما فكر فى مغادرة المكان ، ولكنه لا يعلم سبب قلقه هذا ، لأن الضمير قد طرد الفكرة اللاشعورية من الشعور ، أو بمعنى آخر فان الضمير كان سبباً لنسيانه كل شىء عن هذه الفتاة . ولا يكون هناك بعد هذا النسيان ما يبرر منع المسير فى هذا الطريق لو تذكر الانسان

لزوم قضاء حاجة معينة فيه . وهكذا تلجأ النفس الى فكرة شراء شيء معين أو مقابلة شخص معين فى هذا الطريق بالذات . فيقوم الانسان من مكانه سائراً فى الطريق الذى أراده اللا شعور وزول القلق الذى سببه إذن هذا الأخير عند ما منع عن تحقيق رغبته التى أبداها .

ومع أن اللا شعور يسبب للنفس المتاعب من جراء عدم تلبيتها لطلباته فيضطرها الى إجابتها . فانه كالطفل الذى قد يقنع من تحقيق رغبته بالأوهام دون الحقيقة الواقعة . وهكذا نرى فى مثلنا الأول أن اللا شعور قد اكتفى بالنكتة والفكاهة دون تحقيق الكسب نفسه . وفى مثلنا الثانى ولو أن صاحبه سار فى نفس الطريق الذى أراده اللا شعور إلا أن الغرض من السير قد التوى عليه .

ذلك هو اللا شعور ، وقد رأيت أنه الطفل الذى يعيش فى الأوهام أو هو الشيطان الذى يحاول أن يخرج الانسان من الحقائق الى عالم الخيال . وقد نجح فعلاً فى هذا الأمر أى نجاح سواء مع المرضى أو مع الأصحاء . وهل نرى فى العالم شيئاً غير الخيال فى كل مكان ؟ فالمريض العصبى مريض لأنه تخيل المرض . ويقوم الانسان من نومه معللاً الآمال على ما وجد فى رؤياه من تحقيق أمل يرقبه أو النجاة من مكروه يرهبه . ويستمد الشعراء منه الخيال فتكون الاستعارة والتشبيه والتورية . ويستمد الروائيون منه والفنانون كل دقائق الفن ومعجزاته ، فالمثال لم يعمل إلا أنه رغب فتخيل فجسم خياله . وحقق رغبته تحقيقاً رمزياً . وهذا مما يدل فى ذاته على أن ذلك الطفل الذى يتذرع بالحزن للحصول على تنفيذ رغباته مع انه قد يقنع بالتحقق الجزئى أو الرمزى لهذه الرغبات ، قادر كل القدرة على السيطرة على النفس لأنها تريد أن تتحاشى غضبه فتنفذ له ما يشاء . فهل يمكن بعد ما تقدم أن نستخدم هذه القوة لعلاج بعض الأمراض ؟

فى الامكان الاجابة على هذا السؤال بالايجاب ، وذلك بواسطة طرق الايحاء المختلفة ، وسنرى فيما يلى كيف يمكن التغلب على هذا الشيطان واستخدامه فى أغراض علاجية كثيرة . وإننا نود أن نشير أولاً الى أن قوة الايحاء تتوقف على عوامل شتى . وأهم هذه العوامل ما كان بفعل المودة والمحبة والتقدير لأنه بسببها يعتقد اللاشعور بما يوحى اليه تمام الاعتقاد . ويرسله الى الشعور ليتولى تنفيذه .

ولما كان الايحاء لا يمكن أن يثمر إلا فى وجود الاعتقاد ، وكان الاعتقاد أيضاً متوقفاً على العوامل المختلفة السالفة الذكر فانه من الواجب أن تكون شخصية الموحى بعيدة كل البعد عما يسبب الريبة أو الشك ، وأن يكون هو نزيهاً يزن كل كلمة يقولها ، وأن يكون صالح المريض أول ما يرمى اليه ، ونحن اذا أردنا سهولة التعبير وتوخينا إظهار ما نقصده على وجه عام فانه يمكن القول بأن الايحاء هو وضع أفكار أمام العقل على أمل قبولها والاعتقاد فى صحتها . وهى لذلك تأخذ مجرى عكسياً لمجرى الأفكار الذاتية لأنها تبدأ فى الشعور أو التمييز ثم تذهب بعد ذلك الى اللا شعور اذا لم تجد ما يمنع دون الوصول اليه .

وقد يكون الايحاء من أشق الأمور اذا وجدت أفكار ذاتية تخالفه أو تشك فيه ، ويكون من أسهل الأمور اذا وجد من الأفكار الذاتية ما يعززه أو ما لا ينقضه . والايحاء موجود فى الحياة العملية ، وقد يكون الموحى أى إنسان مهما يكن مركزه أو عمره . فقد يجتمع اثنان ويبدى أحدهما إعجابه بشيء معين وقد يكون على حق ، ولكن سرعان ما يغير وجهة نظره بعد ملاحظة صغيرة من رفيقه فيبدو له قبح ما كان يعجب به ، وقد ينقم انسان على نفسه لتصرف يعتبره خاطئاً ، ولكن سرعان ما يعد ذلك التصرف عادياً بعد مواساة صديقه . وقد يكون من الأصوب تسمية ذلك النوع من الايحاء إيهاماً ، لأن الأفكار الموحى بها كثيراً ما تكون مخطئة . وترك كلمة إيحاء للأفكار الصحيحة التى لا تحتمل الشك . وعلى كل حال فان الأفكار الموحى بها سواء أكانت صحيحة أم خاطئة فانها تتبع نفس الطريق . أى انها تسير من الشعور الى اللاشعور حيث يحتويها ذلك الأخير فتصبح كالأفكار الذاتية ويعتقد بها الانسان تمام الاعتقاد

والفكرة سواء أكانت ذاتيــــة أم موحاة ، تتحول فى اللاشعور من مجرد تخيل الى حقيقة متخيلة ، وترسل على هذا الاعتبار الى الشعور فيتولى تحويلها من حقيقة متخيلة الى حقيقة فعلية ، أو بمعنى آخر من فكرة الى فعل (من idea الى action) وهكذا يكون التخيل من عمل اللا شعور ، وتنفيذ التخيل من عمل

الشعور . والشعور مع هذا ليس آلة ميكانيكية لتنفيذ تخيلات ورغبات اللاشعور ، بل انه قد يرد بعض هذه التخيلات الى اللاشعور لعدم ملاءمة تنفيذها وهنا تحدث المشادة بينهما .

فاذا أمكن اقناع مريض عصبي بأن يده المشلولة قد شفيت تماماً فان فكرة الشفاء هذه تتحول فى اللاشعور الى حقيقة متخيلة أو بتعبير أدق الى حقيقة نفسية . وترسل على هذا الاعتبار الى الشعور حيث يتولى اثبات هذه الحقيقة باخراجها من حيز التخيل الى حيز الفعل فيأمر العضلات أن تنقبض ، وهكذا تتحرك اليد ويتحقق الشفاء الموحى به . والمريض العصبي لايمرض الا اذا تخيل المرض ولا يشفى الا اذا تخيل الشفاء

وهناك قانون آخر كشف عنه كوويه (Caué) وهو أنه اذا حدثت مشـــادة بين الارادة والتخيل أو بين التميز من جهة واللاشعور والشعور من جهة أخرى ، فان الغلبة تكون دائماً للتخيل على الارادة . فشارب الخمر أو الدخان عنده ارادة قوية تحاول منعه من تعاطيهما ، ولكن تخيله احتياجه الى الشرب أو التدخين يقهر الارادة عنده ويستمر فى التعاطى . وهكذا نرى كوويه يتحدث عن المشادة وهى تقرب من المشادة التى يتكلم عنها فرويد بين اللاشعور والشعور ، ولو أن مشادة كوويه شعورية ومشاده فرويد لاشعورية أو تكاد . ولهذا أشار هذا الأخير بتحليلها ومعرفة أسبابها وعرض نتيجة ذلك على التميز ليبت فيها بصورة معقولة ، أما كوويه فانه لما كانت المشادة التى يتحدث عنها شعورية فهو لا يحتاج الى تحليل ، بل يقول انه مادامت الارادة ضعيفة بالنسبة الى التخيل فيجب وضع تخيل جديد أمام العقل يكون من شأنه أن يقلل من قيمة التخيل الأول الذى يتعارض مع الارادة . وهكذا تبطل المشادة ويشفى المريض ، وهو يضع التخيل الثانى بواسطة ايحاء لايكون فيه ذكر للارادة ، فيطلب الى مريضه أن يقول (لقد تحسنت صحتى وأنا فى طريق الشفاء) لا أن يقول (أريد أن تتحسن صحتى وأريد أن أشفى)

واذا قال أتباع نظرية فرويد بأن المرض يختفى بالايحاء ليحل محله مرض أخف أو أشد منه . أجاب أتباع كوويه بأن من الممكن عمل ايحاء تام يشمل جميع الأمراض ، والواقع أن هذا اذا نجح فى كثير من الأمراض فانه يعجز عن شفاء الكثير منها أيضاً ، لأن المشادة الشعورية ليست الا أثراً أو دليلا على وجود مشادة لاشعورية .

والايحاء اذا عمل قبل الكشف عن هذه المشادة الأخيرة قد يخفف من وطأة المرض العصبي مؤقتاً ولكنه يزيد من فعل الضمير فى كبح الرغبات والأفكار الذاتيـة وضغطها ، وذلك يؤدى الى نتائج غير مرغوب فيها . فمعرفة المشادة اللاشعورية فى هذه الأحوال وتحليلها هو من أهم الأمور أولاً ، ثم يأتى الايحاء بعد ذلك بأفكار جديدة سامية وتخيلات ممكنة معقولة . ولهذا نرى فرويد فى كتبه يقول إنه لايميل الى ايحاء أى فكرة الى المريض بل يجب تركه ليكون لنفسه من الأفكار والتقدير مايراه مناسباً لها، فهو بعد الكشف عن المشادة يكون قد شفى من مرضه . واذا كان المريض لا يزال فى حاجة الى الارشاد فقد يوحى اليه فى بعض الأفكار والمثل العليا .

ولما كان كوويه يعتقد أن وجود الارادة من شأنه أن يزيد فى عناد التخيل وتشبثه بتنفيذ رغباته فاننا نجده يعمل لازالة التميز وهو محل الارادة من مريضه قبل ايحاء أى فكرة اليه ، وذلك بواسطة أربع تجارب تثبت للمريض مقدار تأثير التخيل على الانسان فى غياب التميز . وهو بعد أن يقتنع بقوة التخيل هذه يطلب اليه أن يستخدمها فى شفاء نفسه، وذلك بأن يتخيل الشفاء ، ولكنه بالطبع لايطلب اليه أن يقول إنه يتخيل الشفاء ، بل انه شفى من مرضه وأن مرضه لن يعود .

وهناك طريقة أخرى للايحاء وهى أن يكرر المريض جملة معينة فى أوقات مختلفة من النهار ولمدة طويلة ، وهذه هى الطريقة التى يتبعها فى أمريكا Herbert A. Parhyn وهى كثيرا ماتفيد فى بعض الأحوال ، لأن التميز اذا عارض الفكرة الموحى بها فى أول الأمر لا يلبث أن يتعرض لها بنقض أو شك فيما بعد فتصل فى النهاية الى اللاشعور وهو مركز التخيل كما قدمنا حيث تخرج منه حقيقة واجبة التنفيذ .

أما الايحاء بالتنويم فلا شك أن الفكرة الموحى بها تصل الى اللاشعور دون أن يقف فى طريقها أى حائل . ذلك لأن النائم يعتقد فى المنوِّم القدرة الفائقة والارادة القوية ، وهو لذلك يأخذ منه الأفكار دون أى مناقشة أو شك فينفذها الشعور بعد قيامه من النوم فى الوقت المناسب . وهذه الطريقة ينطبق عليها ما سبق

أن تكلمنا عنه بصدد الايحاء بطريقة كوويه . أى أن الاعراض تختفى لأجل أن يظهر غيرها ، وأن الضمير يشتد فى الضغط على رغبات الانسان اللاشعورية بدل أن يسمح لها بالمثول أمام الشعور والتمييز لمناقشتها . هذا الى أن شخصية النائم تصبح ضعيفة تتأثر بأى فكرة يوحيها أى انسان ، لأن اللاشعور عنده قد كبر على حساب عقله المميز .

أما قيمة الايحاء العلاجية فانها تظهر من استعراض بعض حالات تمكن كوويه من شفائها شفاء تاماً . ومن الغريب أن بعض هذه الأمراض لايمت الى الأمراض العصبية بصلة ما . مثال ذلك أنه تمكن من شفاء صبى عنده التهاب فى عضلات القلب وهبوط قلبى يئس أطباء مشهورون من شفائه . وقد تمكن أيضاً من شفاء النزلة الرحمية والنزيف بالايحاء ، ولنذكر القصة الآتية التى تكلم عنها البروفسور بودوان . فقد حدث أن مريضاً يشكو من نوبات ضيق التنفس (asthma) بات ليلة فى فندق وانتابته النوبة ليلا فقام فزعاً يريد فتح النافذة يلتمس منها هواء نقياً ولكنه بسبب الظلام وللحالة النفسية التى كان بها اذ ذاك لم يتمكن من العثور الا على لوح زجاجى تخيله جزءا من النافذة فضربه بيده وكسره ، وعند ذلك ذهبت عنه النوبة ونام مستريحاً . وعند ما تيقظ فى الصباح وجد أن خادم الفندق كتب له ورقة بأن عليه أن يدفع ثمن زجاجة ساعة الحائط التى كسرها . إذن فالذى أنقذه من نوبته ليس دخول الهواء النقى بل هو مجرد تخيل دخول هذا الهواء ، لأنه كسر زجاج الساعة بدلا من أن يكسر زجاج النافذة . وقد ذكر الأستاذ بودوان أيضاً أن زوجة رأت وهى حامل اصبعاً قبيحة الشكل فاستاءت منها وأصبحت صورتها لاتفارق مخيلتها فوضعت هذه الزوجة طفلا بأصبع مماثلة لتلك الاصبع القبيحة تماماً ، وفوق ذلك فاننا نرى كوويه يقول إن المرأة يمكنها أن تلد ماتشاء من ذكر أو أنثى وماتشاء من محاسن وصفات اذا تخيلت رغبتها طول مدة الحمل

وليس هذا الأمر بغريب علينا نحن الشرقيين فاننا كثيراً ما نسمع عما يسمونه (الوحم) هذا فيما يتعلق بتأثير الايحاء على الجنين ، أما تأثيره على الشفاء من المرض فليس هذا بغريب علينا أيضاً لأننا كثيراً ما نقرأ فى الكتب القديمة عن شفاء بعض الأمراض بالطلاسم والرقى والبخور ، وهذه هى الأشياء التى نسميها الآن شعوذة وتدجيلا ، مع أنها مدرسة قائمة بذاتها بتعاليمها وتلامذتها وأساتذتها الخ . . والواقع أنها كانت فى العصر القديم لها من الأهمية بالنسبة اليه ماللايحاء فى العصر الحاضر من أهمية بالنسبة الينا . والفرق بين طريقة اليوم وطريقة الأمس هو أن الشخص الذى يقوم بالايحاء الآن رجل متعلم يعمل بوازع من ضميره الانسانى النبيل ويوحى الى مرضى مثقفين أيضاً يعرفون قيمة ذلك الايحاء ويعرفون أن قوة الشفاء موجودة فى أنفسهم اذا أمكنهم أن يتخيلوا الشفاء أو اذا أمكنهم أن يتحكموا فى مخيلتهم . وهكذا نرى أننا بعد أن وصلنا الى هذه الدرجة من المدنية والعلم قد رجعنا الى الطرق التى كان يعالج بها فى الازمنة القديمة والتى لا نزال نرى بقاياها . والتاريخ يعيد نفسه ، فالمريض يشفى فى العصر الحاضر اذا أوحى اليه بالشفاء فتخيل الشفاء . وفى العصر الغابر كان يذهب الى شيخه فيوحى اليه بالشفاء باذن الله على شرط أن يحمل حجاباً أو يحرق بخوراً . وهو بعد أن ينفذ هذه الشروط يتخيل الشفاء فيتم له . وقد تكون هذه الطريقة القديمة أجدى وأنفع للأنسان لأنها تجعله يضع ثقته فى خالقه تعالى فيستمد من هذه الثقة كل معانى القوة والاطمئنان والراحة والمواساة . بدل أن يضعها فى نفسه وهو كثيراما يشعر بضعفها .

وقد يساعد الايحاء أو الايهام على استفحال الداء ، وذلك اذا كانت الفكرة الموحاة مخطئة كما يحدث فى بعض حالات السل . ذلك لأن لفظة (سل) مخيفة عند الكثيرين الذين يعتقدون أنه لاسبيل الى شفاء المريض به ، وبمجرد معرفة احدهم بأن هناك شكا فى تشخيص مرضه من هذه الناحية لايلبث أن يعتقد بأنه مريض بهذا المرض فيتحقق له اعتقاده ويستفحل الداء ويسير به الى الهلاك بخطى سريعة واسعة . ومع ذلك فمن منا سلمت رئتاه من هذا المرض ؟ وكم رئة اذا شرحت وجدت خالية من التدرن أو من آثاره ؟ فالسل مرض قابل للشفاء ما لم يعتقد المريض بخلاف ذلك .

عبد الفتاح سلام

بين الدين والعلم

كتاب عن فساد الداروينية

كان من نتائج الحرب العالمية الماضية طغيان موجة الكفر والالحاد ، والمذهب الدهرى الذى شعار أنصاره : « نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » ؛ وزوال فكرة الألوهية من بعض الرءوس الصغيرة والأحلام الضعيفة . ذلك بأن الناس تناحروا وتطاحنوا فى الحرب ، ثم لما رأوا أهوالها جعلوا يضرعون الى الله سبحانه وتعالى أن يحقن دماء الباقين منهم وينجيهم من شر المخبأ لهم فى عالم الغيب كما يقول شحاذونا . فلما لم يسمع لهم نادوا بالكفر ، وطلقوا البقية الباقية فى صدورهم من الايمان ، فكان هذا الاستهتار وكانت هذه « الكلبية » التى رانت على القلوب وبلغت أقصاها فى روسيا البلشفية

لكن يظهر أن رد الفعل هذا سيعقبه رد فعل آخر من الجهة المقابلة ، ويعيد الناس الى صوابهم مرة أخرى . فى كل بلد من بلاد أوربا يقظة دينية ، وفى كل قلب ندامة ، وفى كل ضمير شيء من الوخز يبشر بانتعاش الايمان من إغماء كان يخشى أن يكون طويل الأمد ، وأن ينتهى بموت الأبد ، وبيقظته من سبات كان يخشى أن يكون دائماً ، وأن يليه مرض خبيث كمرض النوم لا يخلّص صاحبه منه إلا الموت

لكن أغرب من هذا كله أن يقوم من يقول لنا إن أعظم حوادث القرن العشرين فقد الناس إيمانهم بالعلم بعد عودة إيمانهم بالدين ، وكما أن العلم هد أركان الدين فى بعض البلدان وفى خلال القرن الماضى ، كذلك نرى الأديان الآن تنتقم من العلم بتقويض أركانه ، والبناء على أطلاله . فقد أعطانا العلم الحرب العالمية بفظائعها وأهوالها ، فضربت أركان الديانة ضربة شديدة ، ولكنها ضربت العلم ضربة أشد منها

قال أحد الكتاب : لما أعلن اينشتين مذهب النسبية الذى قلب به مذهب نيوتن ، قلت فى نفسى ومن يدرينا متى يقوم مذهب من نوع سوبر اينشتين يقضى على مذهب اينشتين ؟

***

ظهر بالأمس كتاب جديد عنوانه « هذا التقدم — مأساة مذهب النشوء » أى مذهب داروين الذى ينكر الخلق الفجائى ، ويقول إن أنواع الحيوان والنبات حتى الانسان متسلسل بعضها من بعض ، وان بيننا وبين القرود لذلك لحمة نسب وصلة قرابة . ولا يزال مذهب داروين ناقصاً ما يسمونه « الحلقة المفقودة » التى تثبت قرابة الانسان للقرد ، ومادامت مفقودة يبقى مذهباً ، ويبقى لذلك خارجاً عن دائرة اليقينيات المثبتة إذ يعوزه البرهان

ومؤلف هذا الكتاب عالم انجليزى اسمه الكبتن اكوارت ، وهو يقول فيه : ان الداروينية كذبة كانت السبب الأول فى تدهور الحضارة الغربية ، بانياً حكمه هذا على اكتشاف اكتشفه وبرهن فيه على أن نشوء الطيور خرافة لا كما يقول المذهب الدارويني

وقد عرض المؤلف فكرته التى بنى عليها مؤلفه على بعض أصحابه النشوئيين فأقروه عليها ، ولم يستطع أحد منهم أن يبين وجه الخطأ فيها وهزأ فى كتابه ببعض الآراء الشائعة بين علماء الطبيعة عن النور ونهاية الفضاء والأثير والفراغ والسدام

وأبان فى كتابه ان النشوئيين لم يهتدوا بعد الى الحلقة المفقودة التى تصل الانسان بالقرد كما يزعمون ، مع انهم قلبوا بطن الأرض يبحثون عنها ، ولكن الجيولوجيا تضحك من بحثهم عن شيء لا وجود له . وقد اعترف داروين نفسه فى زمانه بأن « الجيولوجيا لا تؤيد وجود تلك السلسلة الدقيقة المتدرجة التى يتطلبها ناموس النشوء نفسه » بل بالضد من ذلك تثبت ان الداروينية غير صحيحة ، لأن وجود بقايا الحيوانات فى الصخور لا يمكن تعليله بأى مذهب من المذاهب ، فان عظام الفرس مثلاً كانت موجودة فى قلب الصخور قبل ظهور ما زعموا انها أسلافه لا بعد ظهورها

وقد هدم مندل بناموسه عن الوراثة ناموس الانتخاب الطبيعى الذى هو أساس الداروينية . ويقول المؤلف ان الداروينية زعزعت أسس الدين ، فلو أمكننا التخلص منها لهدنا الطريق الى إحياء الايمان بالخالق . وان من الغرابة بمكان أن يبني الناس تزعزع ايمانهم بالله مدة قرن كامل أو نحو ذلك على مذهب لم يثبت بالبرهان ولا يمكن اثباته .

فالايمان بالله أسهل كثيراً من الايمان بخدع العلم وأوهامه .

م . ن

القصص

النفس الرقيـــق . . .

لايفان بونين

ترجمة ع . الحمدى

فى المقبرة فوق أكمة نضرة مخضرة صليب جديد مصنوع من خشب البلوط ، قوى ثقيل ، ثابت راسخ ، ناعم الملمس ، بهيج المنظر . وكان الشهر ابريل ، ولكن الأيام غائمة كالحة . فكنت ترى من مراحل شاسعة خلال الأشجار الجرداء شواهد الأجداث قائمة فى المقبرة - مقبرة رحبة ريفية أو أكبر من الريفية بعض الشئ - والريح الباردة القاصفة تصفر صفيراً مخيفاً كلما مرت من تجاويف الأكليل المصنوع من الخزف الصينى عند قاعدة الصليب . وفى الصليب نفسه ركب اطار مستدير من النحاس الأصفر . وفى الاطار صورة لفتاة حسناء فاتنة من طالبات المدارس ، مهندمة الملبس ، لها عينان فرحتان براقتان تنمان على الحياة والغضارة

هذه الصورة هى صورة (أولجا مسجرسكى)

لما كانت بنتاً صغيرة لم يكن لها مايميزها فى ذلك الجمع الصاخب من ذوى الأثواب السمراء الذين كان لغطهم المتنافر يدوى فى ابهاء المدرسة وصفوفها . وكل ماكان يستطيع الانسان أن يقوله عنها هو أنها ليست إلا واحدة من هؤلاء الفتيات الكثيرات الجميلات السعيدات ، وانها ذكية ، لكنها لعوب كثيرة الحركة ، لا تصغى لما يلقيه عليها المعلم فى الصف من دروس . ثم صارت الى النمو ، وأخذت تتفتح أكمامها لا بالأيام بل بالساعات . وفى سن الرابعة عشرة ، وقد أصبح لها خصر أهيف ، وساقان جميلتان متسقتان ، برز نهداها ولاحت عليها تلك الرسوم والملامح الدالة على النضوج ، ولم تستطع لغة البشر بعدُ أن تصف فتنتها وسحرها . وفى سن الخامسة عشرة قيل عنها إنها حسناء . . . وكم كان أترابها ورفيقاتها فى المدرسة شديدات العناية بتنظيم شعورهن ، وكم كن نظيفات محترسات فى حركاتهن ! ولكنها ما كانت لتخشى شيئاً فهى دائماً نظيفة الثياب حسنة الهندام ، متوردة الوجه من غير قصد منها ولا عناء من جانبها ، اجتمع لها فى سنتيها الأخيرتين كل مايميزها من باقى المدرسة ، اجتمع لها الظرف والاناقة وخفة الروح واشراق الطلعة وبريق الذكاء . . . ذلك الى أن أحداً لا يستطيع الرقص مثل (أولجا مسجرسكى) ! ولا يستطيع العدو أو الانزلاق مثلها ! ولسبب ما لم تكن لأحد تلك الألفة التى كانت لها مع صفوف الصغار والاحداث فى المدرسة . ومن غير أن تشعر أصبحت فتاة ، ومن غير أن تشعر ذاعت شهرتها فى المدرسـة . ولم يمض قليل حتى أخذت الألسن تلوك عنها الاحاديث بأنها نزقة متقلبة لا تستطيع أن تحيا بغير عشاق ، وأن التلميذ (شنسين) مدله فى حبها مأخوذ بجمالها ، وأنها هى أيضاً لعلها تحبه ولكنها لكثرة تقلبها وسوء معاملتها جعلته يحاول الانتحار غيرة مرة . .

فى خلال شتائها الأخير جن جنونها بذلك الفيض من السعادة الذى غمرها . . . كذلك قالوا عنها فى المدرسـة . . . وكان هذا الشتاء مثلجا قارساً تنزل الشمس فيه مبكرة وراء الأيكة الكثيفة من أشجار الشربين الباسقات خلف بستان المدرسة المكسوة بحلل من الثلج الناصع . ولكن الجو كان رائعاً بساماً على الدوام . اليوم ثلج وغدا شمس . نزهة

قصـيرة فى شارع الـكنيسة . انزلاقة فى متنزه المدينة . غروب وردى دافئ ؛ موسيقى ... ثم ذلك الجمع الدائم الحركة الذى كانت (أولجا) تلوح من بينه أخفه روحاً وأشده نزقاً وأوفره سعادة . وفى ذات يوم بينما كانت مندفعة كالأعصار فى غرفة الألعاب تعـدو فى أثرها الفتيات الصغار يصرخن ويهتفن مبتهجات استدعتها رئيسة المدرسة على حين غرة . فوقفت بغتة وتنفست نفساً عميقاً ثم رتبت شعرها وسحبت أطراف مئزرها كى توصله الى كتفيها . وبعينين مضيئتين هرعت الى فوق . كانت الرئيسة صغيرة السن ، لـكن شعرها كان أبيض ، وكانت جالسة بهدوء الى الطاولة تحت صورة القيصر وفى يديها تطريز قد انـكبت عليه واستغرقت فيه .

قالت الرئيسة بالفرنسية دون أن ترفع عينيها عن التطريز (عمى صباحاً يا « مس. مسجرسكى » — انني آسفة لأن هذه ليست المرة الأولى التى اضطررت فيها لاستدعائك الى هنا لأكلمك فى سلوكك) فأجابت (اولجا) — لقـد أخذت بارشادك أيتها السيدة — قالت ذلك وهى تقترب من المنضدة تنظر اليها باشراق باد وسرور ظاهر ، وفـكر شارد ، ولم تؤد اليها من التحية إلا طرفاً ضئيلاً ظريفاً هو كل ما تستطيع تأديته من التحيات .

فقالت الرئيسة « انك لم تسمعى ما أقول — وقد اقتنعت وا أسفاه بهذا » قالت ذلك وسحبت الخيط سحبة تدحرجت لها كرة الخيوط على البلاط الصقيل اللامع ، وتبعتها اولجا بنظرة مستطلعة . ثم رفعت الرئيسة عينيها اليها وقالت « سوف لا أكرر ما أقول . سوف لا أكثر من القول » .

راق (اولجا) غرفة المطالعة هذه ، وراقها نظافتها الغريبة واتساعها غير المألوف . وأعجبتها زنابق الورد الجنية الزاهية التى كانت موضوعة فى زهرية فوق المـكتب . جلت بنظرها الى القيصر الشاب وقد صور بكامل جسمه فى بهو فاخر ، ولبثت ساكتة لا تنبس ببنت شفة .

قالت الرئيسة فى لهجة تدل على معنى مقصود منها . وقد شعرت فى نفسها بسورة من الغضب : (انك لم تعودى الآن بنتاً صغيرة)

فأجابت اولجا فى سذاجة يغلب عليها الحبور . (نعم سيدتى !)

قالت الرئيسة ولا تزال فى لهجتها معنى تقصده ، وتتعمد الالماع اليـه (لـكنك لم تصبحى امرأة بعد) واحمر وجهها الشاحب بعض الحمرة وقالت (خبرينى أولاً : لماذا تصففين شعرك بهذا الشكل ؟ انك لتصففينه كالمرأة) .

فأجابت اولجا (ليس من ذنبى يا سـيدتى أن يكون شعرى جميلاً) وأمسكت شعرها المنظم الجميل بكلتا يديها وبشكل لا يخلو من دلال .

فقالت الرئيسة (أحقاً ما تقولين ؟ أصحيح أنه لا لوم عليك؟— ألا تلامين على الطريقة التى تنظمين بها شعرك ؟ ألا تلامين على هذه الأمشاط الغالية ؟ ألا تلامين اذا أفقرت أبويك باقتناء حذاء بعشرين روبلا ؟ ولـكنى أكرر القول بأنه قد غاب عن بالك انك لا تزالين طالبة ليس إلا) . وهنا قاطعتها أولجا فجأة بأدب ومن غير أن تفقد شيئاً من بساطتها وهدوئها قائلة (عفواً يا سيدتى انك خاطئة ، اننى فى الواقع امرأة ، وهل تعلمين من يلام على ذلك ؟ انه صديق أبى وجاره أخوك (الـكسى ميكالوفتش) ... وقد وقع ذلك فى الريف فى الصيف الماضى) .

* * *

بعد هذا الحوار بشهر أطلق ضابط من أجلاف القوزاق سمج أخرق ، فى هيئة السفلة من الرعاع والأفاقين ، على أولجا عياراً نارياً أرداها قتيلة وهى فى جمع من الناس على رصيف المحطة وقد وصلوا تواً بالقطار . وهكذا تحقق بهذا الحادث اعتراف (اولجا) الذى صعق الرئيسة . فقد قال الضابط للمحقق ان (مسجرسكى) قد أخرجته عن وعيه ، وانها فيما مضى كانت لها به صلة من صلات العشق الخفى ، وانها وعدته بالزواج منه ، وفى محطة القطار فى يوم مقتلها عند ما رأته يغادر المدينة الى (نوفوجركاسك) أخبرته بغتة بأنها لن تفكر

فى الزواج منه ، وان كل ما قالته له من أمر الزواج لا يتعدى السخرية منه والهزء به ، وانها ناولته مذكرتها ليقرأ فيها تلك الصفحات التى كانت قد كتبتها عنه .

قال الضابط (ألقيت نظرة عجلى على تلك الصفحات — وذهبت الى الرصيف حيث كانت تخطرجيئة وذهاباً تنتظرنى ريثما أفرغ من قراءتها وسددت اليها مسدسى فقتلتها . وتلك هى المذكرة فى جيب معطفى ، انظر تحت تاريخ ١٠ يوليو من السنة الماضية . . .) . وهذا ما قرأه المحقق :

« الساعة الآن الثانية صباحاً ، استغرقت فى نوم عميق لكننى ما لبثت أن استيقظت مرة أخرى . . . أصبحت اليوم امرأة . ابى وأمى و(توليا) كلهم سافروا الى المدينة وبقيت وحدى . ما أسعد الانسان أن يكون وحده . آه لو أستطيع أن أصف مبلغ سعادتى بوحدتى هذا اليوم . فى الصباح أخذت أتمشى فى البستان بالمزرعة . دخلت فى الأيكة الوارفة الظل . خيل إلى أننى وحدى فى هذا العالم كله . ليس فيه غيرى . لم تلم بى قبل اليوم أمثال هذه الخواطر والأفكار اللذيذة . . . ما أحلاها . . . تناولت طعام الغداء وحدى ، ثم لعبت ساعة من الزمن . . . وألقت الموسيقى فى روعى بأننى يجب أن أعيش أبداً وأن أكون أسعد مخلوق على وجه الأرض ! ثم أخذتنى سنة من الكرى فى غرفة الاستقبال الخاصة بأبى . وفى الساعة الرابعة أيقظتنى (كيت) وقالت لى إن (الكسى ميكالوفتش) قد حضر الى هنا . كم سررت بلقائه . كم كان جميلا أن استقبله وأكرم مثواه . جاء ومعه جوادان مطهمان . ما أجملهما ؟ ظلا طيلة لبثه واقفين عند الباب الأمامى . لكنه لبث هنا لأن المطر كان ينهمر كافواه القرب وأنه يرجو انقطاعه وجفاف الطريق عند المساء . أسف أشد الأسف لعدم لقائه ابى فى البيت ، كان مبتهجاً خفيف الروح مترعاً بالحياة ، عاملنى بكل لطف وأدب . وصار يتنادر معى ويذكر فى دعابة وفكاهة أنه وقع فى شراك حبى من زمن بعيد . وقبيل تناول الشاى أخذنا نخطر فى البستان بين الرياحين والأغصان المتمايلة وكان الجو رائعاً فاتنا ، ولكن البرد طفق يشتد ، وظللنا نمشى معاً ذراعاً بذراع ، وقال كأنه معى فاوست مع مرجريت ! . هو فى السادسة والخمسين ، الا أنه لم يزل وسيماً جذاباً . حسن الهندام دائماً — والشئ الذى أنكرته عليه هو أنه جاء اليوم متلفعاً بلفعة تفوح منها رائحة عطر انكليزى ولا تزال عيناه عينى شاب يافع . لحيته طويلة مسترسلة . مفروقة فى وسطها فرقاً جميلا — هى فضية لامعة . — تناولنا الشاى فى الشرفة الزجاجية ، وشعرت بغتة أن وعكا خفيفاً عرانى فاستلقيت على السرير وظل هو يدخن . ثم جلس بقربى وشرع يقول أقوالاً لذيذة ، فيها متعة ، وفيها ما يستثير كامن الوجد ومكبوت الهيام . ثم تناول يدى فطبع عليها قبلة حارة . . . فجعلت من منديلى الحريرى الكبير ستراً أسدلته على وجهى ، وجعل ينهال بالقبلات إثر القبلات من فوق المنديل على شفتى . . . لا أدرى كيف وقعت الواقعة !. لا أستطيع أن أقول كيف حدثت ، قد جن جنونى ! . . ما كنت لأحلم يوماً أننى أكون كتلك اللحظة . . والآن لا أشعر نحوه بغير شىء واحد : الاشمئزاز الذى لا قبل لى بحمله . أواه ! ما أشد ما ثار فى نفسى بعد ذلك منْ المقت له !!

***

المدينة فى هذه الأيام من ابريل نظيفة نقية ، قد ذهبت بأدرانها وأقذارها أمطار الشتاء ، وبدت حجارتها بيضاء ناصعة ، وأصبح السير فوقها محببا شهيا . . . فى كل يوم أحد بعد القداس ترى فى شارع الكنيسة المؤدى الى خارج المدينة امرأة قمئة ضئيلة الجسم تلبس الحداد ، فى يديها قفازان من جلد المعز الاسود ، تحمل مظلة مقبضها من الأبنوس ، تراها تسير فى الشارع وما تنتهى منــــه حتى تجوز ساحته ، ثم تعبر السوق المتهدمة حيث الحدادون الكثيرون ، وحيث النسيم يهب رقيقاً عليلاً من الحقول القريبة . وهناك على بعد كبير بين الدير والسجن ترى العين المنحدر الأبيض من القبة السماوية ، والحقول المترامية تغتسل فى تلك القتمة الرمادية . . . وبعد ذلك ، بعــــد أن تجوز البركة الكدرة خلف الدير ترى ما يبدو لك كأنه حديقة فسيحة واطئة محاطة بسور أبيض كتب على بابه : (صعود سيدتنا الى السماء The Assumption of Our hady) . هناك تقف المرأة وقفة قصيرة

ترسم مسرعة بيديها صليباً على صدرها وتسير سالكة الطريق الأصلي ؛ ومتى وصلت المقعد إزاء الصليب الجديد المصنوع من خشب البلوط ، جلست في تلك الريح الشديدة وذلك الهواء القارس ولبثت كذلك ساعتين . . حتى تؤلمها قدماها من شدة البرد ، وهما في ذلك الحذاء الخفيف ، وحتى تكاد تجمد يداها من قسوته ولذعته . وبينا هي تستمع لأطيار الربيع تصدح بالغناء العذب ، والصوت الرخيم الرقيق حتى في ذلك البرد القارس . وبينا هي تصغي الى صفير الريح تمر من تجاويف اكليل الخزف وتضاعيفه تبرق في رأسها فكرة أنها تقدم نصف حياتها لو أن ذلك الاكليل البارد الميت لا يكون أمام عينيها . ثم ان (اولجا مسجرسكي هي التي دفنت في ذلك القبر) ، هذه الفكرة وحدها، تغمرها في لجة من الذهش البالغ والحيرة المتناهية ، فيبدو عليها وجوم عميق وذهول غريب وجزع مروع : كيف يستطيع الانسان أن يجمع بين طالبة غضة بضة لا تتجاوز سنها السادسة عشرة ، كانت قبل شهرين أو ثلاثة تتفجر حياة ، وتسطع فتنة ، وترفل بأزهى حلل السعادة والهناء . كيف يستطيع الانسان أن يوفق بينها وبين تلك الأكمة من التراب وذلك الصليب الخشبي ؟ أممكن أن تكون هذه هي نفس هذه الفتاة التي تشع عيناها بالخلود الأزلي من هذا الاطار النحاسي ؟ وكيف يستطيع الانسان أن يجمع بين هذه الطلعة المشرقة الوضاءة وتلك الحادثة الفظيعة التي ترافق الآن اسم (اولجا مسجرسكي) ؟ رحماك يارب ! إن هذا ليعجز الافهام . . ولكن هذه المرأة القمئة الضئيلة الجسم سعيدة في قرارة نفسها ، سعيدة كأولئك العاشقين الذين وقفوا حياتهم على حلم عاطفي جميل . . .

هذه المرأة هي معلمة (اولجا) في المدرسة . فتاة أربت على الثلاثين ، ظلت منذ زمن بعيد عائشة على هوس في قرارة روحها كان هذا الهوس أول الأمر ينتاب أخاها — وهو ملازم في الجيش ليس فيه ما هو جدير بالاهتمام أو قمين بالالتفات — كل روحها كانت معلقة به ، متصلة بمستقبله بأمتن الصلات ، اتصالا تتصور أنه لابد يوماً مود بها الى أرض من أراضي عبقر . وبعد ذلك لما قتل أخوها في (موقدن) أقنعت نفسها بأنها — ويا للسعادة ولحسن الحظ — ليست كالأخريات ، وانها بدلاً من الجمال ، وبدلاً من أن تكون امرأة حقيقية تتمتع بما للمرأة من أنوثة ، بدلاً من ذلك لها عقل راجح ، وفكر ثاقب ، هو أسمى من هذه الدنيويات السافلة ، هي عاملة من عمال المثل الأعلى .

وأولجا الآن محور أفكارها وخيالها ومبعث كل اعجابها وسرورها ، في كل عيد أو عطلة أن تهرع الى قبرها — وقد ألفت الذهاب الى المقبرة بعد موت أخيها — تظل ساعات طوالا شاخصة الى الصليب الخشبي . تذكر وجه (اولجا مسجرسكي) الشاحب المصفر وسط الأزاهير في النعش وتذكر أيضاً ما سمعته ذات مرة : ذات مرة في فرصة الغداء بينما كانت (اولجا مسجرسكي) تتمشى في بستان المدرسة تقول مسرعة عجلى لصديقتها الحميمة (سبوتين) الطويلة البادنة : (كنت أقرأ في كتاب من كتب أبي — وان لأبي لكتباً قديمة لا تحصى ، أكثرها غريب نادر فيه الوفير من المتعة وفيه الجزيل من اللذة — قرأت عن الجمال الذي يجب أن تمتلكه المرأة ، وما أكثر ما هو مسطور هناك ، لست أذكره كله ، لكنني أحفظ منه بعض الشيء ، اسمعي : عينان سوداوان فاحمتان كالقار يغلي في جفنة ، صدقيني ، هكذا كان مكتوبا هناك ... كالقار يغلي في جفنة!! حاجبان سوداوان كالليل البهيم ، حمرة غضة تخضب الاهاب ، قد أهيف ، يدان أطول من المعتاد ، قدمان صغيرتان ، نهدان بارزان ، ساقان مستديرتان متسقتان ، ركبتان يحكي لون رضافهما لون داخل الأصداف . كتفان عاليان لكنهما منحدران — لقد كدت أحفظ أكثره غيباً ، كله صحيح ، ما أشده انطباقاً على الواقع ، ولكن أتدرين ما هو أهم من كل هذا ، هو النفس الرقيق الناعم اللين ، وليس هو إلا هذا الذي أتنفسه أنا . . . . من الأعماق ، اصغ إليّ ، ألا تجدينه عندي ! ! . . أليس هو رقيقاً)

والآن قد تلاشى النفس الرقيق مرة أخرى في العالم ، في ذلك اليوم الأشهب الغائم في ريح الربيع الباردة القارسة ...

بغداد ع . الحمدي

المارد الأنانى

لأوسكار وايلد Oscar Wilde

ترجمة: عبد القادر صالح

أوسكار وايلد من أبرز رجالات الأدب الانجليزى فى القرن التاسع عشر، نعم فى حياته بما لم ينعم به الكثيرون من مشاهير الأدب: شهرة واسعة وحسن تقدير مصحوب بالحب والاعجاب. ولكن الدهر الذى لا يستقر على حال قلب له ظهر المجن فى الشطر الأخير من حياته، فقاسى من الهوان والفاقة ماحطم جناحيه، وطمس عبقريته، فمات شريداً طريداً فى باريس.

ولد أوسكار وايلد من أبوين إرلنديين فى سنة ١٨٥٤ فى دبلن حيث قضى سني دراسته الأولى، فورث عن أبيه الدكتور «ويليام وايلد» إفراطه فى الميل الجنسى، وعن أمه ميلها للفن، فقد كانت شاعرة ناثرة، لها مكانتها.

أتم دراسته فى أوكسفورد؛ وهنالك أعجب بالآداب اليونانية والحياة اليونانية القديمة التى أوحت اليه مذهبه فى الأدب، وهو: الفن للفن. وفى اكسفورد نما فيه ميله الجنسى الشاذ، الذى كان الصخرة التى تحطم عليها مجده

اشتهر «أوسكار» منذ أيام دراسته الأولى بطلاوة الحديث ورقة الداعبة، يعبد الجمال ويمقت القبح؛ لم يتحدث الى انسان إلا وود المحدث اليه أن لو يعيد أوسكار الأحدوثة من أولها. فشهرته فى الدرجة الأولى ترتكز على طلاوة حديثه وظرفه، ثم على أدبه، ولاسيما رواياته التمثيلية وقصصه البديعة.

ترجمت فى «الرسالة» قطع من كتابات هذه الشخصية العجيبة التى كانت تفتخر البيوتات الأرستقراطية فى انجلترا بزيارته لها. وهأنذا أترجم لقراء الرسالة قطعة أخرى من غرر ما كتب، تتجلى فيها روح الكاتب بأجلى بيان. على أنني تصرفت فى ترجمة بعضها تصرفاً قليلا:

***

حديقة غناء، مترامية الأطراف، يكسوها العشب الأخضر الغض، ويزيد فى جمالها ما يبدو فوق الحشائش هنا وهنالك من الزهور الشبيهة بالنجوم. فيها اثنتا عشرة شجرة من الخوخ، تزهر فى الربيع أزهارها البهية، وفى الخريف تنوء بحمل ثمرها اليانع.

تلك الحديقة هى جنينة المارد التى اعتاد الصبية أن يلعبوا فيها بعد ظهر كل يوم إثر انتهاء وقت المدرسة. وكثر ما كان أولئك الصبية يقفون ألعابهم ليصغوا الى أغاريد الطيور العذبة التى كانت تنبعث من بين الأغصان. ولكم كان يخاطب بعضهم بعضاً: «ما أسعدنا هنا!»

عاد المارد من زيارته لصديقه عفريت «كورنول» التى استغرقت سبع سنوات تحدث فيها اليه بما طاب له من الحديث. فلما قدم الى قصره ورأى الأطفال يلعبون فى الحديقة انتهرهم قائلاً: «حديقتى! حديقتى! كل فرد يستطيع أن يفهم ذلك، ولن أسمح لأحد أن يلعب فيها». فلاذ الأطفال بأذيال الفرار.

وعلى أثر ذلك أحاط الحديقة بسور عال علق عليه لوحة أعلن فيها أن كل من ينتهك حرمة حديقته بدخوله اليها يحاكم. فكان بذلك مثال المارد الأنانى.

لم يكن للصبية مكان يلعبون فيه. حاولوا أن يلعبوا فى الطريق، ولكنها كانت مملوءة بالحجارة القاسية والتراب، فلم ترق لهم؛ فصاروا يطوفون بجدران الحديقة آسفين على تلك الأيام السعيدة التى قضوها فيها.

ورد الربيع وأخذت الأزهار تشقق عن أكمامها، والطيور تغرد على الأفنان فى طول البلاد وعرضها. ولكن الشتاء مازال ضارباً بجرانه فوق جنينة المارد الأنانى. فقد أنفت الطيور أن تغرد على أشجارها والأطفال بعيدون عنها، ونسيت الأشجار أن تزهر.

نجمت زهرة من بين الأعشاب اتفاقاً، فلما رأت الاعلان أسفت لما حل بالصبية فعادت أدراجها الى بطن الأرض. ولم ينعم بتلك الجنينة فى غياب الأطفال سوى الثلج والصقيع اللذين استبشرا قائلين: «هجر الربيع هذه الجنينة وسنتمتع بها طيلة السنة.»

غطى الثلج أعشابها ببساطه الأبيض، وصبغ الصقيع الاشجار بصبغه الفضى. وما لبثا أن دعوا «الريح الشمالية» لتشاطرهما الاقامة فى تلك الحديقة فلبت الريح الدعوة مزملة بالفراء، وأخذت

تزأر طيلة النهار فتقتلع المداخن وتطوح بها .

«هذه بقعة جميلة . فلندع البَرَد الى زيارتنا.» وسرعان ما لبى « البرد » الدعوة فصار يقارع سطح القصر ثلاث ساعات متتاليات يومياً ثم يجرى بعد تحطيم كثير من البلاط حول الجنينة مزبداً .

« لا أدرى لماذا تأخر قدوم الربيع : على أنى وطيد الأمل بأن الجو سيتغير . » بمثل هذا كان يتحدث المارد الى نفسه لما طال انتظاره للربيع · ولكن الربيع ظل على هجرانه وتمادى الصيف فى صده .

قدم الخريف وأينع ثمر الأشجار فى كل الجنائن المجاورة . لكن جنينة المارد ظلت خلواً من الثمر لأنانيته . ترقص خلال أشجارها الثلوج والأمطار ، وتعبث بها الريح الشمالية والصقيع .

استيقظ المارد صباح يوم على موسيقى عذبة ، خيل اليه من حسن وقعها فى نفسه ، أنها فرقة الملك تصدح مارة بقصره . ولم تكن فى الواقع سوى ألحان طائر صغير يغرد خارج نافذته ، حمله طول عهده بأغاريد الطيور فى جنينته على الاعتقاد بأنها أعذب موسيقى فى العالم .

وقفت الأمطار وسكنت الرياح الشمالية وأخذت النسائم تحمل اليه ريا عطرا خلال نافذته المفتوحة ، فتمتم قائلاً : « ها هو الربيع قد قدم . » نهض من فراشه وأطل من النافذة . فماذا رأى ؟ منظراً عجباً .

رأى الأطفال الذين قد تسللوا من ثغرة فى الجدران جلوساً على أغصان الأشجار . كل شجرة تضم بين أغصانها طفلا . فكأنها اغتبطت بمرآهم فتفتحت أزهارها ومادت أغصانها فوق رؤوسهم ، وكانت العصافير تحوم حولهم تشقشق شقشقة الفرح . وصارت الزهور تتسابق للظهور من بين الأعشاب ضاحكة . لكن الشتاء مازال ماثلاً فى أبعد نقطة من الجنينة حيث وقف طفل صغير لم يساعده قصره على تسلق أغصان الشجرة القريبة منه . فأخذ يدور حولها وهو يبكى أمر بكاء . عز على الشجرة أن تظل مغطاة بالثلج ، وأن تظل الريح تصفر فوقها فأخذت أغصانها تدنو من الطفل وأفنانها تتدلى ، ولكنه لم يستطع تسلقها لفرط قصره .

ملىء قلب المارد حناناً وهو ينظر اليه فثاب اليه رشده وأخذ يقول : « ما كان أشد انانيتى ! » الآن أدركت سبب تأخر الربيع . سأضع ذلك الصبى الصغير على قمة الشجرة وسأهدم السور « وستصبح حديقتى ملعباً دائماً للأطفال . »

هبط الدرج ودخل الحديقة بلطف ، فلما رآه الصبية ذعروا وفروا . فعاد الشتاء الى الجنينة . غير أن الطفل الصغير لم يفر . لان عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع فلم ير المارد عند قدومه .

أتاه المارد من خلفه وأمسك به برفق ثم وضعه فوق الشجرة فاستحالت الى أزاهير جميلة ، وتهافتت العصافير لتغرد عليها ، فتح الطفل ذراعيه من شدة الفرح وطوق بهما عنق المارد ثم قبّله ، فلما رأى الأطفال الآخرون ان المارد فقد فظاظته عادوا الى الحديقة سراعاً وعاد معهم الربيع ، فهش المارد اليهم ، وخاطبهم بقوله : « هذه جنتكم أيها الأطفال الصغار » ثم أخذ بمعوله الكبير يقوض الجدار .

ظل الأطفال يلعبون مع المارد فى حديقته البديعة حتى المساء فأتوا يودعونه « ولكن أين رفيقكم الصغير الذى وضعته فوق الشجرة ؟ » . فأجابه الأطفال : « لا نعرف . لقد ذهب » « احرصوا على مجيئه غداً » . فأخبروه بأنهم لا يعرفون مسكنه وانهم لم يروه قبل ذلك اليوم ، فحزن المارد حزناً شديداً لأنه أحب ذلك الطفل الذى قبّله حباً جماً .

صار الأطفال يأتون كل يوم بعد الظهر ويلعبون مع المارد ، لكن الطفل المحبوب لم يُرَ ثانية ، كان المارد لطيفاً معهم جميعاً ولكنه ما زال يحن الى صديقه الطفل الصغير ، وكثيراً ما كان يذكره قائلاً : « ما أشد شوقى لرؤيته ! »

تعاقبت السنون وشاخ المارد وضعف ، فلم يقو على اللعب ، ولذا كان يجلس فى كرسيه يرقب الأطفال وهم يلعبون معجباً بهم وبجنينته :

« لدى زهور جميلة ، ولكن لا ريب فى أن هؤلاء الأطفال أجمل أنواع الزهور » أطل صباح يوم ماطر من نافذته وهو يرتدى ثيابه ، فأخذ يمرس عينيه وينظر فيطيل النظر كأنما وقعت عيناه على شىء عجيب ، ولقد كان عجيباً حقاً . رأى فى طرف من أطراف الحديقة النائية شجرة مكتظة بالزهور ، يتدلى من أغصانها الذهبية ثمرها الفضى ، ورأى تحتها الطفل الذى أحبه .

الكتب

مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام

تأليف الأستاذ محمد عبد الله عنان

[الطبعة الثانية] نقحت وحققت وضمت اليها بحوث جديدة

لئن كان لهذا القلم الضعيف أن يطمح الى ما هو أبعد من غايته ، فان مما يبهج نفسى أن أتحدث عن هذا الكتاب القيم ، وقصاراى أن أتم هذا الحديث على خير ما أرجو من دقة ، وعلى أحسن ما أحب من انصاف .

الكتاب كما يتضح من عنوانه ، يصور لك أدوار ذلك الصراع العظيم الذى قام بين الاسلام والنصرانية منذ أن وثب العرب من صحرائهم ، وأثخنوا فى أراضى الدولتين الفارسية والرومانية ، والذى تجلى فى عدة مواقف مشهودة كحصار العرب للقسطنطينية ولقائهم أعداءهم فى الغرب فى موقعة بلاط الشهداء ، ثم ما كان من بسط العرب سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط واحتلالهم اقريطش ، وصقلية ، وروما ، وجنوب ايطاليا ، الى أن تطور هذا النزاع الى دور الحروب الصليبية وما تخللها من لقاءات هائلة بين قوى الاسلام والنصرانية ، وأخيراً ما كان من أمر العرب فى الأندلس ، وتقوض دعائم ملكهم العريض هناك .

وتلك المواقف الحاسمة التى يتخذ منها المؤلف الفاضل عنواناً لكتابه هى فى الواقع موضوع واحد ، فهو وان اختلفت مظاهره وتعددت ميادينه ، وتسلسلت عصوره ، لا يخرج فى جوهره عن الصراع بين الاسلام والنصرانية ، ولقد أعجبنى من المؤلف تنبيهه الأذهان الى ذلك فى مواطن كثيرة .

ولقد صور الأستاذ المؤلف كل هاتيك المواقف تصويراً دقيقاً رائعاً ، مبيناً أثرها فى مصاير كل من الطرفين فى وضوح يؤيد ما اشتهر به من بسطة فى فنه ، وسعة فى اطلاعه ، والمام عجيب بالمواضيع التى يطرقها ؛ ولقد أضاف الى تلك المواقف طائفة من الفصول سماها « بحوثاً مفردة » والواقع أنها ليست مفردة ، وأن اتصالها بالموضوع وثيق ، بل انها لتعد ضرورية له ، ومن أمثلة تلك البحوث الهامة « الدبلوماسية فى الاسلام » و « الفروسية » و « الرق فى العصور الوسطى » وغيرها مما يلقى ضوءاً على الموضوع الأصلى ؛ ولا يفوتنا أن نذكر مع مزيد الأعجاب أن المؤلف مهد لكتابه بفصلين فى غاية الأهمية هما « وثبة العرب » و « سياسة العرب الدينية » ؛ فأرانا فى الفصل الأول ، فى تعمق ودقة وقوة بيان ، تلك الروح التى سيطرت على العرب فى جزيرتهم ، وأرانا فى الفصل الثانى ، روح الاسلام فى معاملة الأمم التى كانت تدخل فى حوزته مورداً فى ذلك كثيراً من الأمثلة والاقتباسات ، شارحاً الأحوال الاجتماعية والسياسية التى كانت تسود ذلك العصر .

فأنت ترى من هذا الوصف الموجز أن الكتاب يجمع بين الفائدة واللذة ، أو بعبارة أخرى فهو للثقافة والاستمتاع .

أما طريقة الأستاذ فى كتابة التاريخ فجديرة بالاعجاب حقا ، فهو لن يسرد عليك الحوادث سرداً مملا ، بل ترى له طريقة انقادت له وسهلت فى يديه وأصبحت وقفاً عليه ، طريقة طالما

هرول الى الجنينة مسرعاً ، فلما دنا من الطفل صعد الدم الى وجهه ، واحمرت عيناه غضباً ، إذ رأى راحة الطفل دامية « من تجاسر أن يجرحك ؟ اخبرنى لكى أذبحه بسيفى الكبير . »

فأجابه الطفل « لا . هذه جراح الحب ! » فاستولى على المارد خوف غريب ، ثم جثا أمام الطفل قائلاً : « من أنت ؟ » فأجابه الطفل مبتسما :

« سمحت لى أن ألعب مرة فى جنينتك ، والآن ستذهب معى الى جنينتى التى هى الفردوس » تراكض الأطفال بعد الظهر كعادتهم فوجدوا المارد الميت تحت الشجرة مكفناً بالزهور البيضاء .

نابلس — عبد القادر صالح

تطلعنا الى وجودها فى كتابة التاريخ باللغة العربيـة ، فهو يحلل ويدقق ، ويمحص الحوادث فى نظام علمى دقيق ، دون أن يملك أو يطوح بك فى مجاهل مطموسة الصوى ، جائرة السبل ، وإنك لتحس شخصيته فى كل عبارة من عباراته ، لأنه يفرغ على القرطاس صور ذهنه ، وحماس قلبه ، كما أنك تلمس آثار جهوده فى كل فقرة من فقراته ، فتراه يعرض عليك الروايات المختلفة ، والآراء المتنوعة ، ثم يقف منها موقف الناقد الذى يمكنـه من الحكم والفصل ، ذاكرة قوية ، وقراءة واسعة ، وصبر شديد ؛ ولن تراه يتهرب من نقطة أو يتحيز الى رأى ؛ كل ذلك فى فطنة ونفاذ بصيرة ، فاذا أضفت الى هذا أن الأستاذ عناناً مشغوف بموضوعات التاريخ الاسلامى ، وأنه لن يكتب إلا ما جاشت به نفسه ونبض به قلبه ، أمكنك أن تفهم الروح التى يكتب بها الأستاذ التاريخ ، والواقع أننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا إن طريقة الأستـاذ عنان فى كتابة التاريخ قد ثبتت عندنا ناحية من نواحى الحركة الفـكرية ، كما أن الأستاذ نفسه قد صار ركناً وعلماً نفاخر به أهل الغرب ، فطريقته العلميـة الدقيقة فى كتابة التاريخ تضع آثاره فى صف مثيلتها فى لغة الغرب ، مما يعد مفخرة للعربية وأهلها .

وهناك ناحية أخرى فى كتابة الأستاذ عنان جديرة بالتنويه ، تلك هى أسلوبه ، فللأسـتاذ أسلوب خاص ، تحار إن أردت شرحه ؛ فعباراته قوية وسط بين المقبوضـة والمبسوطة ، لا ترى فيها حشواً ولا تجد كلمة تستعمل فى غير موضعها ، أو تجد لفظاً يقصر عن أداء معنى ، أو يتسع حتى يطغى على ذلك المعنى فيضيعه ، كذلك لن تجد عبارة فاترة فى موقف حماسى ، أو جملة حماسية من غير داع ، هذا الى جمال ورونق فى غير تكلف أو إسفاف .

أما عن مظهر الـكتاب وطبعه وترتيبه ، فحسبك منه أنه مطبوع فى مطبعة دار الـكتب ، على ورق جيد من القطع الـكبير ، ولقد ختمه المؤلف الفاضل بثبت للمراجع العربيـة والأفرنجية ، ثم بفهرس للأعلام التاريخية والجغرافية ومقابلها الأفرنجى ، ثم بفهرس عام للـكتاب .

ونحن لا يسعنا إلا أن نتقـدم بعظيم الشكر للأستاذ المؤلف على مجهوداته التى ترفع رأس العربية ، وتشرف أهل الضاد جميعا .

محمود الخفيف

فى مدينة بروسة

(بقية المنشور على صفحة ٩٦٤)

لا تقع عينى فى مجلسى هذا إلا على أكداس من العبر ، وأسطار من حظوظ البشر . وما أشقى هذه النفوس التى لا تقلب بصرها فى هذا العالم الا لتقرأ ما وراء صوره من عظات وآلام ، يا لها ذكريات تجيش لها النفس ، وينطلق بها الفكر فى مسالك يعيا بها جهد الفـكر .

لله بروسة الجميلة سهلها وجبلها ، ودورها وشجرها ، ولله فيها هذا التاريخ العظيم يملأ أرجاءها ، ولله هذه النفس ، كلما خلت وطلبت للفراغ مجلساً انهال عليها من العبَر والفـكَر مايكدّرها ويحزنها ، وينفر بها عن النـاس ، ويسمو بها فى معارج من الحقائق والخيال تلتبس فيها السعادة والشقاء .

أيها القلم حسبك ، فما يتركنى الناس أبلغ من خلوتى غايتها . فهاهم قد أقبـلوا يتحدثون ، وهاهى أصوات النرد تُطير عنى أسراب الأفكار . وقديماً قال أبو العلاء :

حوربتُ فى كل مطـلوب هممت به
حتى زهدتُ فما خُلّيت والزهـــدا

إيه يابروسة والدنيا غِيَر ، والدهر قُلّب ! ليت شعرى ، وأنا أحبك ، وأود لو انفسح الزمان للأقامة فيك أياماً ، لتبلغ النفس من جمالك وجلالك أمانيها — ليت شعرى أأراك مرة أخرى ، أم تلك جلسة التسليم والتوديع إلى الأبد ؟! . إنما العلم عند الله ، وما نحن إلا ظلال متنقلة ليس لها من الأمر شىء ؟

عبد الوهاب عزام